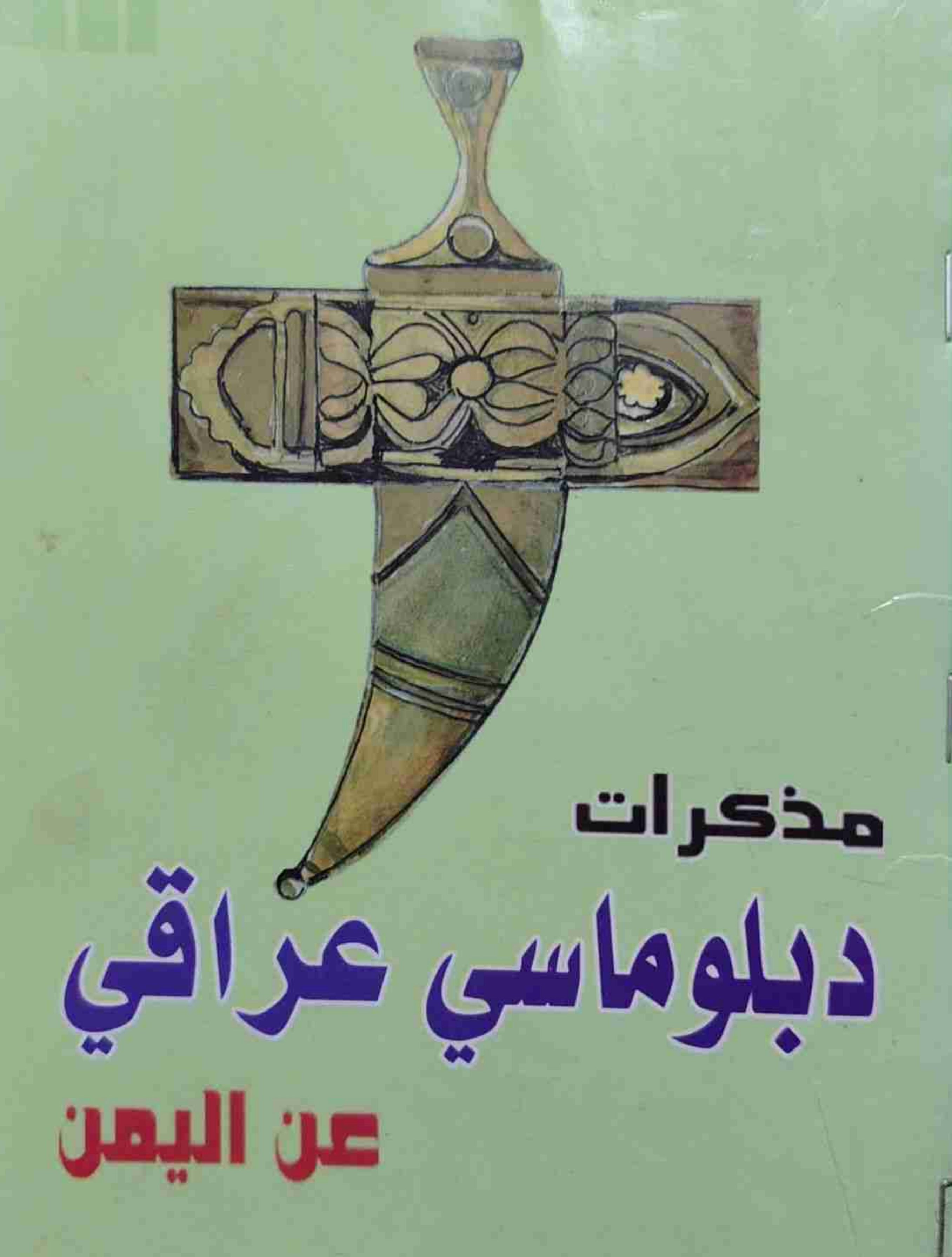


مذكرات

دبلوماسي عراقي

عن اليمن

١٩٦٢ - ١٩٦٤

ابراهيم الولي
سفير سابق



مذكرات دبلوماسي عراقي عن اليمن



لمنظمة الصحفيين العالمية



المركز الإقليمي للبلدان العربية
صنعاء - اليمن

صادر عن:

دائرة التوجيه المعنوي
مركز المعلومات

2005

رقم الايداع بدار الكتب بصنعاء (٣٥٧) لسنة ٢٠٠٥م

الاخراج والتصميم:
مركز التصميم والاخراج الفني
بدائرة التوجيه المعنوي
(سليم الخطيب)
تصميم الغلاف :وكيدة الولي (عقيلة المؤلف)
الطباعة وفرز الألوان:
مطابع دائرة التوجيه المعنوي
ص.ب (١٧) صنعاء - الجمهورية اليمنية
هاتف: ٢٦٢٦٢٦/٢٦٢٦٢٨ - ١ - ٩٦٧+
فاكس: ٢٧٤٣٤١ - ١ - ٩٦٧+
بريد إلكتروني: 26Sept@yemen.net.ye



الإهـــــــداء

إلى أحبائي الذين عاشـــوا معي في كل مكان عملت فيه.

وقد عاشوا معي في اليمن في أصعب ظروفه:

زوجتي الحبيبة

وولديّ العزيزين:

د.وليد

د.خالد



تعريف عن المؤلف

هو السيد إبراهيم علي حسين محمد عبدالله حسين الولي دبلوماسي عراقي ولد سنة ١٩٢٩م وتخرج في قسم الفلسفة والاجتماع في جامعة فؤاد الأول في القاهرة عام ١٩٥٢ وعمل في وزارة الخارجية متدرجا في الديوان ثم في سويسرا فاليمن فالسويد فنائبا لرئيس تشريفات رئاسة الجمهورية ثم عمل في يوغوسلافيا فالكويت ففرنسا ثم رقي إلى سفير فكان رئيسا للدائرة السياسية ثم للدائرة الدولية الثانية في وزارة الخارجية حتى عام ١٩٧٨م عمل بعدها في الأمم المتحدة «اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا–أسكوا» لغاية ١٩٩٢م.

وهو الان متقاعد يمضي وقته في العبادة والقراءة والكتابة.

مقدمة :

شهادة حية بذاكرة عربية

بقلم: محبوب علي*

شدتني فكرة تبني هذا الكتاب، عندما آثر السفير إبراهيم الولي أن يضعه بين يدي لطباعته...

فالكتاب الموسوم بـ «مذكرات دبلوماسي عراقي في اليمن»، توثيق لشهادة حية عن مرحلة هامة من تاريخ الشعب اليمني، يتم سردها وروايتها بذاكرة عربية اختزنت وقائعها وأحداثها على مدى أكثر من أربعين عاما ليتم الإدلاء بها في موطنها وليس خارجه...

فإبراهيم الولي هو أول رئيس بعثة دبلوماسية لسفارة العراق في صنعاء، قدم أوراق اعتماده لنائب الإمام في عهد الملكية، ليكون بعد شهرين شاهداً على قيام ثورة ٢٦ سبتمبر الجمهورية عام ١٩٦٢م ويرصد على مدى عامين أهم المحطات منذ لحظة الميلاد وما أعقبتها من ظروف وأحاطتها من صعاب...

إنه بالتأكيد لا يسعى إلى إعادة كتابة التاريخ كفكرة مستوحاة من مقولة الفيلسوف الألماني «غوته» أو نظريته في تجديد كتابة التاريخ، وإنما يدلي بشهادته الحية على مرحلة دقيقة وهامة عاصرها بنفسه، وتعرف عن كثب وقرب، بحكم عمله الدبلوماسي، على رموزها وأبطالها الذين حاورهم

وتحاوروا معه بل وعاتبوه على تأخر الاعتراف العراقي بالجمهورية الوليدة، وتأثير ذلك عليه شخصياً رغم اتساع دائرة علاقاته مع قيادات الثورة ومبادراته في تقديم المشورة خارج وظيفته الدبلوماسية، حرصاً منه على تعزيز دعائم الثورة وليس التنكيل بها..

يمكنني القول بأن مذكرات السفير العراقي إبراهيم الولي شدتني كما تشدنا قراءة مذكرات المشاهير من أعلام الأدب والثقافة والفكر إلى أقطاب السياسة...

فمذكرات هؤلاء، التي تأتي أحياناً على شكل سير ذاتية، أو تبادل للرسائل مع أترابهم وأقرانهم، ليست سرداً لخصوصية بحتة، مجردة عن التمازج الطبيعي بين الخاص والعام... بين التجربة الذاتية بما حفلت بها من معاناة، وآلام وتعقيدات وأفراح و أتراح، والظروف المحيطة بها وما زخرت في كنفها من وقائع وأسرار ومفاجآت... انتصارات أو انكسارات...

لهذا يتميز هذه الكتاب: «مذكرات دبلوماسي عراقي في اليمن» عن غيره من الكتب التي عرفتها المكتبة اليمنية بل والعربية على حد سواء، لأن مؤلفه، يدلي بشهاداته للتوثيق ليس بذاكرة يمنية وإنما بذاكرة عربية...

والأهم أنه لم يتعجل الإدلاء بهذه الشهادة كرد فعل سياسي أو دبلوماسي لطلب مغادرته صنعاء من الحكومة اليمنية بعد عامين من قيام الثورة، إلا بعد مرور أربعة عقود ونيف من معاصرته لوقائع الأحداث أسوة بالأسرار التي يتم الاحتفاظ بها لزمن غير قصير قبل أن يماط عنها الحظر في الدول الكبرى...

ولعل هذه الشهادة الحية التي آثر السفير إبراهيم الولي تدوينها وتوثيقها في هذا الكتاب بلغة عذبة وهو يطل على اليمن هذه الإطلالة من لندن حيث يقيم حالياً مع زوجته التي شاركته بل وشاطرته الحياة والعمل والكتاب نفسه بريشتها الأنيقة، هي باقة ورد وعرفان محبة ومودة يهديانها معاً

إلى اليمن التي أحباها وعاشـا فيها سنوات شـبابهما مع أنهما انتقلا إليها ليس من العراق وإنما من قلب أوروبا وخاصـة سويسـرا إلى صنعاء في عهد الإمامة!!

وتلـك الشـهادة نودعها اليـوم بين أيدي القـراء والمهتمين، لتكـون رافداً جديـداً للمكتبة اليمنية والعربيـة والعالمية، بما حفلت بها من آراء ومواقف، هي جديرة بالمناقشة والإثراء، وليس التغييب أو الإلغاء...

فتغييب الذاكرة عن التواصـل بين الأجيال ثقافياً وتاريخياً، تغييب للهوية والانتماء.. بل إلغاء للعقل عن شحذ الذاكرة للتفكير بل والتذكير..

وهذا الكتاب محاولة جادة لاسـتقراء الماضـي الذي يسـتحيل بدونه سبر أغوار الحاضر للاطلال على المستقبل..

أو كما قال شاعر تركيا الكبير ناظم حكمت:

الحاضر أفضل من الماضي ... أما المستقبل فمرهون بالأفضل والأجمل

❖ **نقـيـب الصحفيــين اليمنيين**

نائــب رئيس اتحاد الصحفيين العرب

المدير الإقليمي لمنظمة الصحفيين العالمية

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور)

صدق الله العظيم

اليمن هذا الجزء العزيز من بلادنا أرض العرب نشأ فيه أجدادنا منذ بدء الخليقة عمروه فبز أهله كل بني عصرهم بذكائهم ووداعتهم وشجاعتهم فكان لهم الفضل على الجزيرة العربية كلها. وقد سماه الرحالة الإغريق العربية السعيدةARABIA FELIX قدر ما كانت جباله ووديانه وسهوله حقولا غناء مثمرة لا تشبه ما حولها من صحارى قاحلة ورمال على مد البصر.

وتمر القرون في دعة من العيش قد يكون بعضهم قد طغى فأفسد في البلاد واعتدى على الخلق بما وصفته الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

« فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور»

صدق الله العظيم

ودخل أهلها الإسلام فجاء وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للحدث عند فتح مكة بقوله: « الله أكبر جاء الفتح و نصر الله وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الإيمان يمان والفقه يمان »٣

وبقي اليمن بين مد وجزر توالى عليه حكام وولاة وملوك رجال ونساء وأئمة، كان من هؤلاء و أولئك الصالح والطالح. وظل جزء كبير من اليمن منذ القرن الثالث الهجري حتى قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م يرزح تحت وطأة حكم ديني وقبلي على أشد درجات التخلف و الهرطقة فقد حكمت اليمن ثماني عشرة دويلة منذ عهد الخليفة العباسي المأمون بدءاً بالزياديين وانتهاء بالأتراك، وكان الأئمة إما مشاركين في تلك الدويلات مع غيرهم أو مستحوذين على الحكم لوحدهم على مدى ٧٠٠ عام. وكنت ترى عدة دويلات من تلك تحكم اليمن في وقت واحد.

حتى جئت أرى اليمن ١٩٦٢م فأجده ليس باليمن السعيد الذي ذكره المؤرخون، وجدته كئيبا -ويحيى- بائسا تعج سجون القرون الوسطى بخيرة رجاله، شوارع مدنه حالكة، وأرضه يباب، إلا مما يسد الرمق، وأهله عاكفون على مضغ القات٤ وعدد غير قليل من سكان المدن يقدم على شرب الخمور حين تتوفر، بدونه تراهم يشربون الكحول النقي وأنواع العطور المستوردة من أجل نسبة الكحول الموجودة فيها. وكم قضت هذه العادة البغيضة على أرواح شباب عديدين هرباً من الواقع.

ما إن حططت الرحال في صنعاء حتى بدأت اتصالاتي بالمسؤولين وبالناس فقد كنت أذرع شوارع صنعاء وأجلس في مقاهيها الشعبية. وما كنت في الوقع بحاجة كبيرة للتعرف على الصورة الحقيقية الأصيلة لهؤلاء الناس رغم ما يعلوها من صدأ مرده الفقر والقهر، ولكني وجدت في نفسي رغبة للعودة إلى الأصول.

جئت صنعاء ومعي عائلتي أم وليد وولدينا وليد وخالد – اللذين خسرا سنة

دراسية من حياتهما اقتصرت على تدريسهما القرآن الكريم على يد أستاذ يمني، كما أن الدكتورة شابوي٥ وهي طبيبة فرنسية استمرت على تذكيرهما بالفرنسية.. أقول جئت لأمثل العراق في اليمن وكنت أتصور الصعوبات التي سأواجهها وكانت والحق كثيرة عرفتني على اليمن عن كثب. لكن ولا أبالغ إذا ما قلت إني خرجت من اليمن وقد تعلمت أن الدبلوماسية ليست مجرد ضبط قواعد الإتكيت والبروتوكول وهما بالطبع لازمان للإنسان المتحضر، لا، ولا هي التمتع بمباهج الحياة التي يتيحها المركز الدبلوماسي بما فيه من حصانات وامتيازات، بل هي امتحان للبصيرة والصبر.

لقد عشت في اليمن بصفتي هذه قرابة العامين أدركت لحسن حظي في أول شهرين من وصولي باباً يطل على الماضي السحيق لم يوصد بعد. فقد أطللت منه ونحن في آب ١٩٦٢م على القرون الوسطى دونما مبالغة، فلا عجب أن تكون ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م الوليد المنتظر الذي أغلق ذلك الباب ليفتح آخر يدخل النور والحداثة.

كتيبي هذا عن اليمن شبه مذكرات شخصية مطبوعة في ذاكرتي طالما حدثت نفسي عن نية تسطيرها على الورق وكم من صديق يمني رجاني أن أفعل، وها أنذا أستجيب فأسطر لنفسي ذكريات خشيت أن تضيع مع ضياع الذاكرة، بدأت تسجيلها منذ الثمانينيات وبقيت في درج مكتبي، وهاهي تخرج إلى الوجود في القرن الوحادي والعشرين.

وأنا لا أقصد مطلقا الإساءة لأحد من خلال ما ورد في هذا الكتيب، كما أني والله يعلم لم أهدف لإرضاء أحد من خلاله غير وجه الباري سبحانه. ويقيني أن ما يرد فيه سيفيد شباب اليمن كي يزدادوا معرفة بفترة مهمة من تاريخ بلدهم ولتسهل عليهم المقارنة بين ذلك الماضي الكئيب والحاضر المشرق الذي حققته الثورة ووليدتها الجمهورية، وكذا الحال مع الجيل الجديد من دبلوماسيي بلدي العراق فقد يفيدهم الاطلاع على جهود جيل سبقهم من الدبلوماسيين.

ولا يستغربن القارئ الكريم خلو هذا الكتيب من سجل المراجع فأنا لم أعتمد على مراجع يوكل إليها على كثرتها، وعذري في هذا أني رجعت إلى وريقات سجلت عليها ما كان يهمني تذكره والباقي هو مما اختزنته الذاكرة. وقد اعتمدت في كل هذا وذاك على الملاحظة المباشرة و الاتصال الشخصي مع من يرد ذكرهم في هذه الصفحات، وذلك عندي من أفضل طرق البحث العلمي. وقد حرصت على الاطلاع على كل ما وقعت عليه يدي مما كتب عن اليمن، وإن لم أستعر أي شيء منها بدءا على سبيل المثال لا الحصر بما كتب «انكارين» الروسي في مذكراته عن رحلته إلى اليمن سنة ١٩٢٩م، ومحاضرات الدكتور أحمد فخري عن اليمن ماضيها وحاضرها سنة ١٩٥٧م و«أهل اليمن في صدر الإسلام» للدكتور نزار الحديثي ١٩٧٨م و«قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» للعلامة عبدالرحمن الزبيدي تحقيق محمد بن علي الأكوع و«اليمن الدولة والمجتمع» للدكتور محمد مصطفى الشعبيني ١٩٧٥م و«اليمن» لحسن محمد جوهر ومحمد السيد أيوب ١٩٦٧م و«التاريخ السري للثورة اليمنية» للواء عبدالله جزيلان... وغيرها من المراجع، لهذا آثرت أن يكون ما أكتب عبارة عن سيناريو يبدأ بي من جنيف حيث كنت معتمداً قنصلاً وممثلاً دائماً بالوكالة للعراق لدى المكتب الأوروبي للأمم المتحدة، وعبوراً ببغداد فصنعاء ومن ثم العودة إلى بغداد خلال الفترة التي أمتدت قرابة العامين سجلت كل ما اعترضني من أحداث بشكل عفوي على طريقة ابن فضلان في رسالته الشهيرة عن رحلته التاريخية أيام الخليفة العباسي المقتدر الذي أوفده إلى ملك الصقالبة فسجل كل ما اعترض طريقه بين بغداد وموسكو وبالعكس من ٩٢١م إلى ٩٢٣م حتى صارت رسالته هذه من مصادر البحث المهمة لتاريخ روسيا وللبلاد التي مر بها، وأنا لا أدعي بهذا دقة وحدة ملاحظة هذا السفير الكامل كما سماه البعض فذلك أمر يصعب علي محاكاته.

وهكذا بتواضع هي وريقاتي هذه إذ هي سجل لما شاهدت وعايشت خلال فترة محدودة هي مدة بعثتي في اليمن فحسب... فلم أشأ البحث في تاريخ

اليمــن العريق ولا حتـى بتاريخه الحديـث وإلا لكان علــي تغطية الحركات الوطنية التي سـبقت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م التي حضرتها وهي حركة شباط ١٩٤٨م وللعراق فيها ضـلع يتمثل بالمرحوم جمال جميل، وانتفاضة ١٩٥٥م وغيرهما مما سـجل أبطال شـهداء تاريخ اليمن بالدم وبالشـهادة. فكانوا مشــاعل مكنت الإنسان اليمني أن يعيش بكرامته يعمر بلاده ويوحد شمالها وجنوبها بما يرصــن الثورة ويثبت التغيير ليحقق المكاسـب والمنجزات وبما يثلج صدر المحب.

وقد وجدت من الأهمية بمكان إعطاء فكرة موجزة عن قبائل اليمن سداة البــلاد ولحمتها وبغيرها – اقتصــادياً وعسـكرياً وسياسـياً – بما يقوم أو يدوم اسـتقرار وانتعاش للبلاد. وقد اعتمدت في الحديث عن هذا الموضــوع على رجال أفاضل من ذوي العلاقة في اليمن.

وحرصـت على أن ألا أدخل القارئ في تفاصيل القبائل اليمنية فذلك أمر يطول، ولهذا توخيت الإيجاز الشديد في ذلك وأرجو أن أكون قد أصبت.

العديد من الشخصـيات المهمة التي يـرد ذكرها في هذا الكتاب قد توفاه الله في رحمته الواسـعة أسكنهم الله فسيح جناته مع الصديقين والشهداء. ومعـذرة للقــارئ الكـريم إذ لم أشـأ تكرار هـذا الدعاء عنـد ذكرهم وهم جميعهم ممن يستحقونه مكتفيا بتسجيله هنا.

«اللهم انصــر اليمن–كل اليمن–وعوض أبناءها خيراً عن كل المكاره التي حاقت بها من أبنائها ومن غيرهم».

الفصل الأول

جنيف - صنعاء :

عندما بلغني نبأ نقلي إلى صنعاء أوائل آب ١٩٦٢ - وكنت في جنيف يطل مكتبي على ساحة الرون في قلب المدينة الجميلة - ذهلت أول وهلة إذ توالت على مخيلتي صور سريعة مردها المطالعات السطحية التي تعرض علينا وكلها يتحدث عن تخلف اليمن وعن قصص تقع للزائر الغريب، وقد استغل بعض الغربيين الذين عملوا في اليمن هذا البلد المغلق وحب القراء للاطلاع والإثارة فكتبوا ما كتبوا من قصص خيالية لا تخلو أحياناً من وصف لمجتمع كتب عليه الزمن وحكامه التخلف الشديد.

ولنقلي إلى اليمن قصة لا بأس من ذكرها فعندما بدأت منظمة الدول المصدرة للنفط «أوبك» عملها في جنيف كنت بحكم وجودي هناك من فترة أستطيع المساعدة في أمور عدة تعيين المنظمة وعندما علم السيد روحاني سكرتيرها العام حينئذ أن مدة خدمتي في جنيف- ٣ سنوات- توشك على الانقضاء عرض علي وظيفة في المنظمة هي مسؤول العلاقات العامة التي قال إن شروطها منطبقة علي.

طبيعي أني سررت لهذا العرض ولكني قلت له إن الأمر متوقف على السيد وزير الخارجية إن وافق رضيت وبعكسه فسأعتذر، قال لي الرجل إن ذلك أمر هين.

وعند انعقاد المجلس الوزاري للمنظمة وكان يمثل العراق فيه السيد محمد سلمان وزير النفط حينئذ فاتح السيد روحاني الوزير بالأمر وكان والسيدة عقيلته مديحة «أم مغيرة ومعد» معنا على عشاء في البيت وكان من بين الحضور السيد مزاحم الباجه جي رئيس وزراء العراق الأسبق وإخوة اخرين، فاتحني الوزير بالأمر ليرى ما إذا كنت راغبا بهذا التعيين فشكرته وقلت إن المهم هو موافقة وزير الخارجية فوعد هو بإجراء اللازم، وكان

أن قام بزيارة للوزير لدى عودته إلى بغداد وفاتحه في الأمر فغضب الوزير هاشم جواد وقال إنه لا يوافق ورد الوزير سلمان بشدة وفعل ذات الشيء مع آخرين فيما بعد.

وهكذا استلمت رسالة شخصية من وزير الخارجية يقول فيها إننا عندما نربي دبلوماسيا نتوسم فيه الخير، نريده أن يستمر ويتدرج في خدمه بلاده، فإن كان ذلك الدبلوماسي أنثى فنحن نتوقع منها ترك الخدمة يوما ما بسبب الزواج والتفرغ لبيتها. ولكن ما عذرك أنت يا إبراهيم هل أن المادة هي التي أغرتك و يقصد السيد الوزير أن راتب الأوبك كان سيصل إلى خمسة أضعاف راتبي كقنصل وفي ذلك إغراء. علما أن مستوى رواتب موظفي السلك الدبلوماسي حينئذ كان متواضعاً ولم يكن قد سرى مفعول الزيادة المجزية وشمول الموظف بمخصصات للسكن وأجور دراسة الأولاد قد طبق حينها. وقد آلمتني هذه الرسالة فكتبت للوزير أشرح الأمر مؤكداً أن العرض جاءني من الأوبك وأنا لم أوافق بعد على أي حال. فبعد الحادثة جاءني أمر النقل إلى اليمن، وواضح أن الأمر لا يخلو من شيء من جر الأذن على أن الأمور توضحت عندما وصلنا بغداد والتقيت بالوزير.

توكلنا على الله وقمنا بشحن العديد من حقائبنا بواسطة طيران الشرق الأوسط إلى بيروت فعدن فصنعاء بمساعدة مدير فرع جنيف الصديق خالد جنبلاط، وأخذنا طريق البر إلى بغداد أنا وعائلتي إلى البندقية ومنها بالباخرة إلى بيروت ثم بالسيارة إلى بغداد. كان أول ما قمت به زيارة وزير الخارجية الأستاذ هاشم جواد الذي دعاني والعائلة للعشاء في بيتهم. وكانت مضيفتنا عقيلته أم سمير وهي سيدة سويسرية من عائلة كريمة في جنيف اسمها «بيانكي» اقترن بها عندما كان معارا للخدمة في منظمة العمل الدولية في جنيف لفترة طويلة. وعندما رأت السيدة الفاضلة أن ولدي وليد وخالد يتكلمان الفرنسية بطلاقة إذ كانت أول مدرسة لهما في جنيف عاتبت زوجها حول النقل هذا وعن مصير دراسة هؤلاء الصغار فكان أن التفت إلي

قائلا: إذا كان إبراهيم يرغب في تغيير هذا النقل فسأغيره «طبيعي أن هذا التغيير في موقف الوزير دل على قناعته بسلامة موقفي في إثر إيضاحاتي له مثبتا له بأني لم أسع لهذه الوظيفة وان كنت سأفرح بها لو تمت». على أي حال شكرته وقلت بل أن أمتعتي قد وصلت هناك منذ شهر ولا بد لنا من الالتحاق بمقر عملنا فبدأ الأستاذ هاشم يزين لي العمل في اليمن بقوله بأن خبرة الدبلوماسي ومقدرته وأصالته لا تجلو إلا في بلاد العالم الثالث وخصوصا العربية منها.

هذا حق والله فأنا مثلاً لم أستفد خبرة من البلاد التي عملت فيها في أوروبا وهي سويسرا ثم السويد ثم يوغسلافيا ثم فرنسا رغم الراحة والرفاهية إلا القليل، والسبب في ذلك أن كل شيء هناك متوفر ومشاكل بلادي مع تلك البلاد تقليدية معروفة.

أما في اليمن فالأمر مختلف تماما فتلك بلادنا قطعة من أوطاننا بمسمى آخر، هنا عاش أجدادنا ومازال فيها أشقاؤنا، فالتفاعل في العمل الدبلوماسي يلزم الدبلوماسي بقيم ومعايير مختلفة حتى لقد يجد المرء نفسه - وهذا ما وجدتني عليه في اليمن في مناسبات عدة - متجاهلا مصلحة بلاده بدون إلحاق ضرر بها بالطبع ليغلب عليها مصلحة البلد الشقيق المبعوث إليه والذي هو بأشد الحاجة لمثل هذا التفاضل.

وكم من مرة تجاهلت خلال خدمتي في اليمن استفزازات في الشارع وفي وسائل الاعلام ضد العراق أدرك تماما أنها لم تصدر بإرادة يمنية حرة. وقد كان مسؤولون يمنيون وعلى رأسهم الفريق العمري يعرفون ذلك ويشكرون وأنا لا أستحق الشكر عليه فما قمت إلا بما يمليه الواجب القومي الوطني وأنا جد فخور بخدمتي في هذا البلد العظيم والمظلوم، على أن لي الثقة الأكيدة في ذكاء أبنائه وديناميكيتهم التي تقودهم كما هي فاعلة الآن إلى مستقبل زاهر بعون الله.

السفر إلى عدن من بغداد:

بدأت رحلتي من بغداد إلى اليمن حين حزمنا أمرنا أنا و زوجتي وولدي وليد وخالد للالتحاق بعملي كقائم بأعمال للعراق هناك، فقد حجزت لنا الخطوط الجوية العراقية مشكورة أربعة مقاعد على طائرة الشرق الأوسط من بيروت إلى عدن التي تصلها حسب جدول الطيران المعتمد الساعة السادسة صباح اليوم التالي، فنأخذ من هناك الطائرة اليمنية إلى صنعاء حوالي الساعة الثامنة من نفس الصباح، وقد أشرت الموظفة على تذاكر سفرنا مؤكدة الحجز على هذه الخطوط فضلاً عن الطائرة العراقية المغادرة إلى بيروت.

وكان كل شيء كما هو مخطط له فعلاً إلى أن وصلنا عدن وقت شروق الشمس وكان اليمن الجنوبي مستعمرة بريطانية آنذك وعند تأشير جوازاتنا سألني ضابط بريطاني عن الفندق الذي سننزل فيه خلال إقامتنا في عدن فقلت إن لا جاحة بنا الى ذلك مادمنا سنأخذ الطائرة اليمنية بعد ساعتين إلى صنعاء، فما كان من هذا البريطاني إلا أن استدعى ضابطاً عربياً ظناً منه أني لا أفهم لغته فأعاد علي ذاك الكرة بالسؤال ورددت عليه بأني مستمر في السفر، وإذا بهذا الأخير يضحك بملء شدقيه ليقول إن الطائرة اليمنية (يمنطير) وهذا اسمها التجاري تصل عدن مرة أو مرتين بالأسبوع وقد لا تصل طيلة الأسبوع فهي غير مقيدة بجدول ثابت، كما أنها بدون اتصال لاسلكي فلا يعرف موعد وصولها إلا حين ظهورها في سماء المطار. ولهذا نصحني أن أختار فندقاً لنمكث فيه في عدن وسيخبرونني بساعة وصول الطائرة. ومعنى هذا أن نظل في حالة استنفار صبيحة كل يوم وحقائبنا في حالة حزم.

وهكذا بقينا ثلاثة أيام كان أمتع ما فيها أن تعرفنا على إخوة أعزاء تفضلوا علينا بالزيارة حين سمعوا نبأ وصولنا، وعلى رأس هؤلاء كان السيد

عبدالله الأصنج السكرتير العام لنقابات العمال والسيد حسين الحبيشي عميد كلية بلقيس، وكلاهما من رجال الحركة الوطنية البارزين.

وقد وجدنا مدينة عدن وهي محتلة بالطبع من الإنكليز حينئذ تشبه مدن الأسواق الحرة في هونك كونك وغيرها في كونها مكتظة بمختلف الأجناس وأسواقها وأرصفتها مغرقة بالبضائع الأجنبية.

وفي اليوم الثالث جاءنا نداء مستعجل أن أحضروا إلى المطار، وقد كان ذلك إذ وجدنا طائرة «داكوتا» ذات محركين تقبع بعيدا عن بناية المطار والى جانبها طيار نرويجي. علمت منه خلال الرحلة أن الطائرة بدون اتصال لاسلكي وأنها والوقت كان عام ١٩٦٢م كان يجب أن تتوقف عن العمل منذ عام ١٩٥٥م. على كل حال فليس باليد حيلة توكلنا على الله وقرأنا آية الكرسي وصعدت بنا الطائرة وهي تتسلق سلسلة الجبال ببطء وأظن أن سرعتها هي ١٨٠ كم في الساعة. وكنت أراقب المناظر الجميلة والامتزاج البديع بين البحر والهضاب وقمم الجبال، فمن الجو من أعلى لا يرى الإنسان الفقر والتخلف.

الوصول إلى تعز:

وصلنا مدينة تعز بعد ساعة أو أكثر. فوجدت في انتظاري شاباً أنيقاً بزيه اليمني وهو مدير مراسم وزارة الخارجية «إذ كانت وزارة الخارجية في مدينة تعز» وكذا البعثات الدبلوماسية الأجنبية عدا العراقية والمصرية و السعودية فهي في صنعاء بعيدا عن كرسي الملك في تعز. ووجدت سيارة أمريكية الصنع تأخذنا إلى دار الضيافة يقودها شاب يافع دهشت لكونه يقود السيارة حافياً. حاولت أن أقنع زميلي اليمني بأني قاصد صنعاء فلا حاجة بنا للبقاء في تعز. وإذا به يخبرني بأن الطائرة لا تطير إلى صنعاء وقت الضحى ولهذا فسنبيت ليلتنا في تعز ونغادرها صباح الغد «علمت فيما

بعد أن هناك شحنة من الزجاج لم تكن جاهزة لإرسالها بالطائرة إلى قصر الإمام في صنعاء وبالفعل فقد شحنت معنا في اليوم التالي».

وصلنا دار الضيافة في تعز وكانت غرفة لا بأس بها عدا أن حوض الحمام «البانيو» كان مليئاً بالماء وتسبح فيه بضعة خنافس فما كان منا إلا استدعاء الصبي ظناً أنه سيبدل ذاك الماء بغيره وإذا هو يستنكر الطلب ويكتفي بإزالة الحشرات من الحوض بيده معلناً عن اعتزازه بأنه قد ملأ هذا الحوض منذ أمس إذ جلب الماء من مكان بعيد «لم يكن في اليمن كلها حينئذ أية إسالة ماء».

وعند الظهيرة جاءني من يخبرني بأن شخصاً يريد مقابلتي فخرجت للقائه وهو أحد موظفي المفوضية البريطانية «كانت جميع الهيئات الدبلوماسية العربية والأجنبية حينئذ على مستوى المفوضيات. وقد رفعت إلى سفارة بعد ثورة ٢٦أيلول ١٩٦٢م». وقد حمل لي هذا الشخص دعوة من الوزير المفوض البريطاني السيد «كروستوفر غاندي» للعشاء في مساء اليوم فقبلنا الدعوة وتعرفت على رجل يتصف بالحنكة والكياسة وهو في العقد الخامس من عمره، خبيراً في شؤون اليمن ومازال يكتب ويحاضر عن شؤون الجزيرة العربية من الإذاعة البريطانية «بي.بي.سي».

وفي صبيحة اليوم التالي ذهبنا إلى المطار فوجدنا الطائرة وقد أزيح معظم مقاعدها لوضع الزجاج. وعند السؤال عن أمتعتنا قيل أنها في غرفة مدير الجمارك وهو لم يأت بعد وهكذا كان ..إذ اضطررنا إلى السفر بدون حقائبنا التي ضمت جميع ملابسنا التي وصلتنا بعد أسبوع على أية حال.

الوصول إلى صنعاء : «لابد من صنعاء ولو طال السفر»

وصلت الطائرة إلى مطار صنعاء وهو لا يعدو أن يكون ممراً ترابياً فيه غرفة بائسة هي كل مباني المطار حيث تجرى معاملات الدخول. وقد وجدت

في انتظارنا الأخ الزميل محسن الجزائري القائم بالأعمال الذي كان قد نقل إلى استنبول قنصلا عاما فقدمني لمجموعة من الشخصيات اليمنية وبعضهم وزراء كانوا على وشك الإقلاع إلى تعز وما إن علموا من الأخ الجزائري بقدومي حتى آثروا تأخير رحلتهم بعض الوقت للترحيب بي. وكانت هذه مجاملة تأثرت بها وهي تدل على تواضع اليمني وأدبه الجم.

وسارت بنا السيارة التي أتانا بها زميلنا وهي نوع جيب تعود لأحد المواطنين اليمنيين وقد علمت أن الأخ الجزائري استعارها منه لاستقبالنا مقابل زجاجة كحول، ذلك لأن وزارة الخارجية العراقية كانت لا تقرر لبعثاتها الدبلوماسية في الخارج سيارة إن لم يكن فيها سفير. فيقتصر الأمر على تخصيص دراجة هوائية كانت وسيلتنا الوحيدة للتنقل في شوارع المدينة المتربة. وعبثاً حاولت بعدئذ أن أقنع المسؤولين في الوزارة بخطأ هذا الرأي خصوصاً في بلد كاليمن حين كان عدد السيارات في صنعاء لا يتعدى العشر و ليس بينها سيارة أجرة. على أن حل هذه القضية تمثل فيما بعد أن أعارني الفريق حسن العمري نائب القائد العام للقوات المسلحة جزاه الله خيرا سيارة عسكرية صغيرة «كاز» بقيت لدينا في السفارة لحين مغادرتي اليمن عام ١٩٦٤م.

ولا بأس أن أسجل هنا أني عندما عدت إلى بغداد بعد عامين من خدمتي في اليمن زارني السيد محمد سلام القائم بالأعمال اليمني حينئذ يقود سيارته «البويك» سائق هندي. وقد علمت منه أن السيارة اشتريت من مساعدة مالية دفعها العراق لليمن، فيا للمفارقة! ولا بد أن أذكر هنا أن سير السيارة في شوارع اليمن كان إلى اليمين أي على الطريقة الإنجليزية كما هو الحال في عدن حينئذ، ولكن ذلك تغير بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م فأصبح إلى اليسار. وقد كان لي الفخر بأن كنت من أوائل من نبهوا لضرورة هذا التغيير في الوقت المناسب على أن السير إلى اليمين ظل سارياً في عدن واليمن الجنوبي ككل إلى أمد ليس بالقصير.

لاحظت ونحن نمر في الطريق إلى المفوضية أننا نسير في شوارع متربة غير مبلطة أي مسفلتة حتى تخيلت أننا كنا خارج المدينة، فعند وصولنا طلبت من زميلي إطلاعي على المدينة لأتعرف عليها. وإذا به يخبرني بأننا قد مررنا بأهم أجزائها وأتبعها بقوله «جيتم دقعدم». وعلى كل حال فقد وجدت بناية المفوضية جيدة إذ تتكون من طابقين، الأعلى مسكن رئيس البعثة والأرضي مكاتب المفوضية، وفيها حدائق واسعة وممتازة فيها جميع أفضل الأشجار المثمرة كالخوخ والمشمش و الجوز واللوز والخضار، فضلاً عن الزهور. وهي تجاور قصر الوصول «القصر الجمهوري حالياً».

أقامت فيها بعدنا السفارة الإيطالية بعد أن توسع التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في صنعاء. والدار مملوكة لعبدالله العمري وزير الخارجية آنذاك الذي توفي بحادث طائرة في إيطاليا.

الفصل الثاني

بدء عملي في المفوضية:

رجوت زميلي أن نخرج نتمشى بعد الظهر كي يوجزني عن الأحوال السياسية في هذا البلد. وقد كان لي ذلك إذ خرجنا إلى الطريق الصيني وهو الطريق المعبد الوحيد في اليمن حينئذاك يمتد من صنعاء إلى الحديدة بطول ٢٢٦كم بعرض سيارتين ويمر بسلسلة جبال تتلاشى قرب الحديدة حيث سهل تهامة الساحلي. وقد سألت الزميل الجزائري عما إذا كان في هذا البلد من يفكر بالثورة على هذا الوضع المتخلف جداً والظالم فكان جوابه بالنفي على الأقل في الوقت الحاضر.

ورجا أن ينفك من عمله بسرعة للالتحاق بمنصبه الجديد قنصلاً عاماً في استنبول.

وكان لنا موعد مع نائب الإمام أو الوالي «القاضي محمد الشامي» مساء اليوم التالي إذ كان بعض الأئمة يقيم في تعز ويعين نائباً له في صنعاء لأهميتها وكان النائب الاخر للإمام هو علي زبارة.

توجهنا سلفي السيد الجزائري وأنا إلى مقر نائب الإمام مساء اليوم التالي ليودعه ويقدمني إليه. وقد جلسنا في غرفة واسعة ذات إضاءة رديئة. وكان النائب يجلس على منصة مغطاة بقماش أخضر وقد تحدث زميلي مودعاً ومقدماً إياي فقلت إني تحت تصرفه وإني عامل إن شاء الله كل ما بوسعي لتوثيق العلاقة بين الأشقاء.

فرد الرجل مهنئاً وتحدث في أمور تدل على ذكاء فطري وثقافة محدودة فقد كان يعتقد أن مياه سد مأرب كانت تسقي مدينة البصرة وأن سبب طيب مناخ صنعاء و قساوة جو العراق هو ابتعاد الأولى عن خط الاستواء وقرب الثاني منه. عفا الله عنه فقد كان من أوائل الذين أعدمتهم الثورة.

وهكذا استلمت عملي في المفوضية بعد أن ودعت الأخ الزميل «الجزائري» وقد وطنت نفسي على أن أعمل شيئاً يبرر ثقة الدبلوماسي المفكر الأستاذ

هاشم جواد وزير الخارجية الذي وجهني بالاهتمام بشؤون اليمن الجنوبي المحتل وباستكشاف فرص إقامة علاقات مع دول شرق إفريقيا: كينيا، الصومال، إثيوبيا، أوغندة، وتنجانيقا، التي ضمت إليها فيما بعد زنجبار فأصبحت تنزانيا. على أن الظروف التي أحاطت بعملي في صنعاء بعد قيام الثورة أجبرتني على اللهث وراء الأحداث محلياً فلم يتسن لي متابعة ما هو أبعد من ذلك.

اصطحبت محاسب المفوضية السيد صلاح ليطلعني على المدينة فقمنا بجولة تعرفت خلالها على المدينة القديمة التي تقع ككل صنعاء بين جبلين هما نقم إلى الشرق وعصر إلى الغرب يفصلها الأول عن قبائل خولان ويوصلها الثاني بالطريق الصيني إلى بني مطر حيث البن المطري الشهير المعطر، فمناخة فالحديدة.

ومن الجهتين الأخريين ينفتح سهل في هذه الهضبة يؤدي أحدهما إلى مطار صنعاء الغربي القديم الملاصق للمدينة بحيث تكاد الطائرة أن تحف بالمباني عند إقلاعها لأن المنفذ الوحيد لطيرانها هو عبر المدينة، أما الجهة الجنوبية للمطار فيصدها جبل الخلدين و أظنه سمي كذلك لكونه يضم مرتفعين متناسقين يذكران بالاسم، والى الجانب المعاكس يمتد واد منبسط شيد فيه فيما بعد مطار الرحبة.

كما قمت في هذه الفترة بجولات عديدة في المدينة وتعرفت على القائم بالأعمال السعودي وهو شاب طيب كنا مرة سوية في الجامع لصلاة الجمعة إذا بشخص من المفوضية يسلمه ورقة مطوية وكانت العادة أن البرقيات تسلم لنا ملفوفة على شكل السجاير ما إن فتحها حتى التفت إلي قائلاً إن أحد الأمراء السعوديين سيصل صنعاء غدا واقترح أن نكون سوية في استقباله. ولقد كانت الورقة تحتوي على برقية شفرية يبدو أن القائم بالأعمال كان يحفظ رموزها عن ظهر قلب.

الجدير بالذكر أن المفوضية السعودية كانت تشغل بيت الشهيد جمال جميل القائد العراقي الذي كان من أوائل من أوقدوا جذوة الثورة في اليمن في نهاية الأربعينيات وقد أعدمه الإمام فظلت ذكراه تفوح باحترام في اليمن حتى اليوم.

أما الشخص الثاني الذي قمت بزيارته فكان السيد محمد عبدالواحد الذي لم يكن قائماً بالأعمال chargedaffaires ذلك لأن البعثة المصرية لم تكن مجرد مفوضية في ظل الاتحاد بين مصر واليمن «الذي انفرط في ذلك الوقت فبقي موظف يرعى المفوضية ويحافظ على محتوياتها وهو ما يعبر عنه بالعرف الدبلوماسي charge desaffaires على أن السيد عبد الواحد أصبح بعد ثورة أيلول محط الأنظار وحلقة الاتصال بين الحكومة اليمنية و القوات المصرية، وظل كذلك محل ثقة أنور السادات عندما كان رئيساً لمجلس الأمة المسؤول السياسي عن شؤون اليمن إضافة إلى المشير عامر، فقد كان حينئذ قائماً بأعمال يتصدر جميع زملائه الدبلوماسيين في المناسبات الرسمية وقد كان الرجل ذكياً نشطاً ودوداً لكني رأيت فيه ما هو أقرب لرجل المخابرات منه للدبلوماسي.

إذن فقد كانت هاتان البعثتان الدبلوماسيتان هما الوحيدتين إضافة إلى بعثتنا. وكانت فلسفة الإمام أحمد هي الإبقاء على البعثات الدبلوماسية غير العربية في تعز حيث يوجد الإمام والحكومة، وهي مفوضيات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي، والصين، وإيطاليا، وإثيوبيا، وألمانيا الاتحادية، أما المفوضيات العربية الثلاث فهي منفية في صنعاء المعزولة، والسبب واضح وإن كان المسؤولون يصرون على تفسير الأمر بأن هواء صنعاء أفضل منه في تعز ولهذا نوفره لأشقائنا!

مدينة صنعاء كما رأيتها:

نعود إلى وصف صنعاء في شهر آب ١٩٦٢م. لقد علمت حينذاك من بعثة

منظمة الصحة العالمية أن نفوس المدينة حوالي ١٨ ألفاً فقط ربما يكون ذلك أدق إحصاء تم حتى ذلك الحين إذ كان يجري لأغراض حصر الأسر للتلقيح ضد بعض الأمراض. ويلاحظ الزائر لصنعاء المستوى الصحي المتدهور للمواطن الذي تكالب عليه الفقر والجهل و فوقهما القات ليجعل منه إنساناً هزيل الجسم شاحب البشرة عموماً. وكانت في المدينة صيدلية واحدة يملكها ويديرها الأخوان السقاف وهما من أصل سوري يمارسان الصيدلة بذكائهما وخبرة عملية ولا علاقة لهما بدراستها..

وفيها ميدان تطل عليه وزارة الصحة التي أصبحت فيما بعد دارا للضيافة وهو ميدان «شرارة». وكان أهم متاجر المدينة هو محل «المترب» المطل على الساحة والذي يعج بغير ترتيب بالأجهزة الكهربائية المستوردة من عدن والأسعار فيه قابلة للمساومة.

ونحن في جولتنا الصباحية في المدينة لاحظت أمرين أحدهما أن شرطياً للمرور كان يمارس عمله في تصريف حركة السير ربما الدواب أكثر من السيارات وهو مقيد بسلسلة في رجله. وقد علمت أنه معاقب. و ثانيهما عدد من المتسولين الذين قيل لي إنهم يقضون فترة سجنهم إلا أنهم يتسولون الطعام لقوتهم وقوت سجانيهم.

كما لاحظت على أحد أبواب المدينة مقابل المدرسة الحربية رأس إنسان معلقة بعد أن أعدم بالسيف، كما شهدت بالصدفة موكباً يعاقب فيه من وجد بحوزته خمرة بصبها على رأسه ويرجمه الصبية للتشهير به.

وخلال تجوالنا في أسواق المدينة القديمة ومنها سوق العرج وهي إشارة إلى كلمة أعرج حيث تباع الحيوانات العرجاء أو ذوات العاهة، لاحت لي صبية في حوالي التاسعة من عمرها صبوحة الوجه وهي في سن أولاديو فوددت أن ألاطفها، فما كان من زميلي إلا أن نهرني خشية العواقب قائلاً بأن هذه الصبية ربما تكون سيدة متزوجة وهي في هذه السن المبكرة. وقد أدركت

هذه الحقيقة في تاريخ لاحق عندما زارني مرة صديق من كبار موظفي الخارجية ومعه زوجته الصغيرة التي تركتنا وراحت تلعب مع ولدي وليد وخالد بدلاً من الجلوس معنا. وصادف أن كان الوزير البريطاني «غاندي» في زيارة غير مقررة للسفارة إذ وصل صنعاء في استدعاء على عجل وعندما عرفته بالمسؤول اليمني والسيدة عقيلته بدت على وجهه علامات الدهشة لحداثة سن السيدة مما استوجب اعتذاره.

وخلاصة القول فقد وجدت صنعاء بعد أن تجولت في أرجائها برغم طراز مبانيها الإسلامي المتميز ذي الطوابق المتعددة المزينة بالجبس الأبيض الناصع والزجاج الملون، من مدن القرون الوسطى، هذا إذا ما أنصفتها. تصور مدينة ليس فيها واحد من طريق مبلط، وفيها مدرسة ثانوية واحدة للبنين وليس فيها فندق واحد ولا إسالة ماء، فترى الناس يعتمدون على الآبار للشرب، وكهرباؤها يصل ليلاً وينقطع نهاراً وأحياناً يتناوب التيار في ساعتين في كل منهما، وهو حتى وصوله لا يقوى أمام المسافات فعند أطراف المدينة التي لا تكاد تزيد مساحتها عن كيلو مترين طولاً وواحد عرضاً «وسعر الوحدة يعادل مائة وعشرين فلساً عراقياً. كان سعر الوحدة وقتئذ في العراق ثمانية من الفلسات». يستعين الناس إلى جانب مصابيح الكهرباء المضاءة بفوانيس تجعل القراءة ممكنة! وفي كل المدينة على ما اذكر ما لا يزيد عن أربعمائة خط هاتفي داخلي فليس هناك اتصال بخارجها، وأسلاك الهاتف في الشوارع معلقة على عصي طالما قطعها بغل عابر سبيل.

وكنت حين ترفع سماعة الهاتف تسمع مكالمات عديدة تدور لا يخلو بعضها من المعاكسات وكان دليل الهاتف عبارة عن دفتر كتب بالآلة الكاتبة، وكان صلاح محاسب السفارة يحفظ عن ظهر قلب جل هذا الدفتر.

والمستشفى يديرها ممرض وفي المدينة طبيب إيطالي «د.ماريو» وطبيبة فرنسية «د. شابوي» وهما معاران من حكومتيهما، فضلا عن د. دومنجي

طبيب إيطالي يعمل لحسـابه وكذلك طبيبة بلغارية. كمـا توجد في المدينة جالية إيطالية صغيرة عميدها السيد كاربوني، عفا الله عنه. إذ كان يأتينا بقناني الغاز من عدن فنبتاعها نصف مـلأى، وقد قال أحد الخبثاء إن «كاربوني» يستعمل في بيته النصف الاخر قبل بيعها. وقد دأبت الحكومة الإيطالية على إيفاد معلمة للأطفال من أجل هذه الجالية الصغيرة، وكانت المعلمة أيامنا الآنسة جيانا التي تعرفت على د. دومنجي وكنا ندعوهما سوية في بيتنا وقد تزوجا وهما الآن يعيشان في «لوكا» في إيطاليا سعداء مع ابنتيهما ونحن على صلة دائمة بهما إذ صرنا أصدقاء.

وفي المدينة كلها حوالي عشر سيارات خاصة. فكان بريدنا الدبلوماسي يصلنا من الحديدة على ظهر جمل، الغريب فيه أنه يصل بوقته بالضبط حتى لقد فاقت مواعيده السيارات التي قامت بالمهمة في عهدة الثورة. ومعذرة لأهل صنعاء الكرام فأنا لا أريد أن أزور الأشياء، وأقول ما قال شاعر منافق يصف صنعاء أمام الإمام أحمد بقوله: باريس دونك في الجمال ولندن وعواصم الرومان والامريك... الخ.. والطريف في الأمر أن الإمام أحمد أجاب هذا الشاعر العراقي بقصيدة يمدح بها بغداد دون أن يهبه شيئاً وكان ذلك دهاء عرف به.

ومدينة صنعاء في ذلك الوقت كانت محاطة بسور بناه سيف بن ذي يزن له سبع بوابات ضخمة كانت تغلق اعتباراً من الساعة السادسة بعد العصر فيمنع الدخول أو الخروج من المدينة حتى صباح اليوم التالي. وكان منع التجول في داخل المدينة مفروضاً بصورة طبيعية ومقبولة، إذ يحظر على النساء الخروج إلى الشوارع بعد الساعة الرابعة عصراً وعلى الرجال بعد السابعة وليس لهذا الإجراء علاقة بحالة طوارئ أو ظرف استثنائي.

ولكم أسفت حين علمت في زيارة لاحقة لي لصنعاء أن توسع المدينة العمراني تسبب في إزالة بعض أجزاء من هذا الأثر التاريخي وأقصد به السور، وقد وقعت زيارتي هذه في عام ١٩٨١ أي بعد سبعة عشر عاماً من

مغادرتي لها، وكانت بدعوة كريمة وجهت لي من الأخ الصديق الدكتور محمد سعيد العطار أبو صلاح وكيل الأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام التنفيذي للجنة الاقتصادية لغربي آسيا «أكوا»[6] لحضور الدورة السنوية للجنة في صنعاء بصفة استشاري، وكان ذلك تمهيداً لتعييني أمين سر اللجنة عند انتقالها إلى بغداد في العام التالي. وقد سعدت للعمل مع الأخ الدكتور العطار وهو رجل دولة واقتصادي متميز أطال الله في عمره.

أرجو أن أبين هنا أن المدن الأخرى في اليمن لم تكن بأحسن حالاً من صنعاء. فقد زرت فيما بعد تعز والحديدة و المخا وغيرها فما وجدت سوى البؤس والتخلف..

وإذا بحكم الأئمة يوزع البؤس على الجميع بالتساوي حتى لقد ظل اليمن بحسب أدبيات الأمم المتحدة والبنك الدولي من أشد بلاد العالم فقراً برغم ثرواته الطبيعية.

ولست أجد في وصف الوضع الذي كانت تعيشه صنعاء- بل واليمن كله- أفضل من أبيات الشعر التالية التي نظمها السيد أحمد محمد الشامي[7] في وصف سلطة الإمام المطلقة:

لا لحن ... لا نغم،

لا علم... لا قلم،

لا حسّ... ألم،

لا جيش... لا كرم،

ليس سوى النوم..

النوم «دستور» اليمن..!

لا أحد يخرج في «المساء»..

لعرس، أو لعزاء،

إلا بإذني أولا .!

أبواب «صنعاء» والبيوت،

تغلق من بعد «العشاء»..

هجرة اليمني:

يعمل في السفارة ستة مستخدمين محليين و العريف محمد معياد الذي يقوم بالحراسة مكلفاً من وزارة الداخلية وهو رجل ملتزم وطيب. مرة واحدة فقط نهرته عندما وجدته يحاول أن يعلم ابني خالد على تخزين القات. وهناك الطباخ محمد المحويتي الذي كانت أم وليد زوجتي تعلمه الطبخ وقد فاجأنا عندما نقلت إلى ستوكهولم بظهوره على الباب واندهشت من وجوده رغم أنه سبق أن أخبرني برغبته بالسفر إلى السويد للحاق بنا ولكني لم آخذ المسألة على محمل الجد وقتئذ، ومع هذا عينته هناك حارساً في دار السفير.

وبقي المحويتي في السويد بعد نقلنا من هناك وأصبح في ما أعلم سويدياً حيث يقيم الآن.

ولشد ما أزعجني عندما وصل المحويتي وعلمت أنه جاء ليستقر هنا أنه ينوي طلاق زوجته التي تركها وراءه في صنعاء دونما ذنب وتلك ظاهرة كانت تسود اليمن، وأرجو أن تكون قد تغيرت الآن فقد كان من الطبيعي أن تسأل عن صديق يمني في بيته فترد عليك زوجته بأنه غير موجود فقد سار. وعندما تستفسر منها إلى أين فهي لا تدري هل ذهب إلى المقهى أم لزيارة صديق أم سافر داخل اليمن في عمل. وإذا بك تكتشف فيما بعد أن الرجل قد هاجر إلى «مانشستر» أو إلى «ميتشيجان» أو كحالة المحويتي إلى ستوكهولم دونما رجعة. والهجرة ظاهرة مرغوب فيها في اليمن حتى إن إحصائية السكان في عام ١٩٧٥ أظهرت أن عدد سكان اليمن بلغ ٦,٤٧١,٨٩٣ منهم ١,٢٣٤,٠٠٠ مهاجر بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا والسويد والسعودية.

وشخصية المواطن اليمني تظل متأثرة بتقاليد وعادات البداوة، فالمد البدوي ظل مسيطراً على الشخصية اليمنية لزمن طويل حتى بعد أن تداخل المد الحضري بالبداوة حين توطن الإنسان في أرض يزرعها ويرعى الماشية ويكون أسرة ثابتة أوصلته إلى التكوين الاجتماعي المتمثل بالقبيلة والتعصب الشديد لها. ألم يكن نظام «الفك» وهو ضرورة حصول المرء من غير القبيلة إلى ورقة تشير إلى السماح له بالمغادرة أو الدخول من أو إلى حدود أرض القبيلة سارياً إلى عهد قريب. وهو ما يشبه «الفيزا» أي سمة الخروج والدخول في الدول المتحضرة. ألم يكن في هذا أنصع دليل على عصبية اليمني لقبيلته واعتزازه بها ونفوره من سلطة الحكومة المركزية والدولة عموماً!

فهو يعتبر الالتزام بتعليمات الحكومة انتقاصاً لشخصيته بل وإذلالاً لها.. ولهذا فاليمني القبلي الذي يصر على أخذ حقوقه بيده وبسلاحه دليل آخر على سطوة المد البدوي حتى أيامنا.. وها أنا أرى بين الحين والآخر أن القبيلة الفلانية أخذت رهائن من الأجانب السواح وغيرهم لتساوم بهم الحكومة المركزية للضغط عليها من أجل طلبات يريدون تحقيقها. وشخصية لها هذه الاستقلالية يتركز جل اهتمامها على روح الغزو هي التي دفعت الكثير منهم على الهجرة إلى الخارج، فضلاً عن شظف العيش في اليمن حينذاك وبما في ذلك من روح المغامرة والاستقلالية.

والمواطن اليمني بعد هذا وذاك ذكي بالفطرة وشجاع وكريم مع شيء من الانطوائية التي فرضتها عزلته عن العالم فصار يلف سلوكه وتعامله مع الغير بهذه الصفات دفاعاً عن نفسه وحباً بالبقاء. وفي تقديري أن تمسك اليمني بالجنبية «الخنجر» الذي يتمنطق به في كل مناسبة كجزء من زيه العادي دليل على تمرد وروح استقلالية تتطلع إلى الكسب وحماية الذات في نفس الوقت، فضلاً عما يضفيه ذلك من مظهر للقوة والرجولة.

الخارجيـة في تعز. قال الرجـل إن الإمام قد اختص الأشـقاء العرب بهواء صـنعاء ومناخهـا الطيـب. ولهذا أبقاهـم بعيداً عن تعـز.. وقد بدت لي في ملامح الرجل مسـحة سـاخرة وهو يسـوق لي هذا التبرير الذي لم يكن هو مقتنعـاً بـه. وقد علمت فيما بعـد من أحاديث تجري هنا وهنـاك أن الإمام يرى في الأشقاء العرب عنصر شغب من الأفضل إبقاؤهم بعيداً عن مجلسه! شكرت الوزير وقمت بعدها بزيارة بعض كبار موظفي الخارجية.

كما قمـت بزيارة مجاملة لرؤسـاء البعثات الدبلوماسـية المعتمدة هناك ومنهم السـيد «كرسـتوفر غانـدي» الوزيـر البريطاني، «وروبرت سـتوكي» الوزير الامريكي، ورؤساء بعثات إيطاليا الوزير بنار دللي، وكذلك السوفيتي والصـيني والإثيوبي والألماني الغربي الوزير «سـتيفن» الـذي يجيد العربية باللهجـة العراقية إذ كان يعمل في سـفارة ألمانيا في العـراق في الثلاثينيات مع السـفير الألماني الشـهير «غروبا». وهكذا بقيت في تعز ثلاثة أيام أنهيت خلالها مقابلة من كان علي لقاؤه عدت بعدها إلى صنعاء.

العودة إلى صنعاء:

بـدأ العديـد مـن الشخصـيات اليمنيـة يـزورون المفوضـية وكان أولهم العقيد حسـن العمري مسـؤول سلاح الإشـارة «الفريق العمري نائب رئيس الجمهوريـة في العهد الجمهـوري» وهو من خريجي بغـداد، كما زارني بعده العقيد عبدالله الضـبي رئيـس مخابرات الجيش «وقد اسـتوزر عدة مرات وعين سفيراً لليمن». وقد وجدت بالسيد الضبي شاباً لامعاً فسألته وقد طفح بي الكيل مما رأيت من تخلف وظلم: كيف ترضون لأنفسكم هذا الحال؟ فما كان من الأخ الضبي إلا أن استأذن بالانصراف محيياً في حرج ظاهر تهرباً من الإجابة.

وقد علمت بعد الثورة أن هذا الرجل كان أحد الضـباط المتحمسين للثورة برغم منصـبه الحسـاس. كما زارني السـيد حسـين الحبيشـي أطال الله

في عمره وقد سألته عن ابنيه أحمد وحمزة، وكنت أعرفهما أيام الدراسة في بغداد فكان أن جمعني بهما في بيته العامر. وتعرفت على عباس الذي أصبح رئيساً للبنك اليمني وكذلك أحمد الذي كان يدرس في المدرسة الثانوية وهما صديقان عزيزان على نفسي، أما حمزة فقد توفاه الله وهو شاب ربما كان ذلك بسبب إدمانه على الكحول.

ولم يطل بنا المقام مع العهد الملكي فقد توفي الإمام أحمد بن يحيى في ١٩ أيلول ١٩٦٢ و اشتركت في صلاة الجنازة عليه، ونصب ولده الإمام البدر بن أحمد بن يحيى إماما وملكاً على اليمن. فذهبت للقصر الملكي المجاور لبيتنا للتهنئة ووصلت إلى كرسيه بشق الأنفس إذ كان المهنئون من أبناء القبائل يملؤون ممرات القصر بشكل مفرط بالفوضى. لقد بدا لي الملك البدر سيداً مهذباً وهو يتلقى التهنئة، ووعدني بزيارة السفارة في وقت قريب. وهو أمر لم يتم بالطبع ذلك أن فترة ملكه لم تدم لأكثر من أسبوع.

الثــورة

وتأتي ليلة السادس والعشرين من أيلول ١٩٦٢ التي طالما انتظرها الشعب اليمني طويلاً.

فعنـد السـاعة الثانية عشـرة ليـلاً وقد كنت أقـرأ في الفراشـ مذكرات «أنطـوني إيـدن» التـي جلبتها معي من جنيـف، انطفأ الضـوء ثلاث مرات ظننت معها أن عطباً قد لحق بمولد الكهرباء، وإذا بما وقع كان إشارة البدء بالثورة كما علمت فيما بعد.

وقد تلا ذلك إطلاق نار كثيف شـعرت أن مصدره دبابة أو أكثر تقف على الطريق الصـيني موجهة مدفعها إلى قصر البشـائر الذي يقع وسط بيوت كثيرة في المدينة.

وكانت إصابة مباشرة للطوابق العليا من القصر.

لم يكـن الثـوار يملكون سـوى طلقات مدفع محـدودة العـدد دبروها من دخولهم الخاصة. ولولا التوجه إلى الزعيم عبد الله السلال وهو قائد الحرس الملكي حينئذ والاستنجاد به لإقناع حراس دار السلاح بفتح مخازن السلاح أمام الثوار، لقضي على الثورة في مهدها.

أعلمنـي أحد رجال الثورة أن الاختيار لقيادة الثورة كان يتأرجح بين أكبر ضـابطين في الجيش اليمني هما السيدان حمود الجائفي وعبد الله السلال، وكلاهمـا برتبـة زعيـم وهما شخصـيتان وطنيتـان عانتا من حكـم الأئمة ومرارة السـجون. وبالمناسبة فإن كلا الرجلين من خريجي الكلية العسكرية في بغـداد في الثلاثينيات من القرن الماضـي، وفي رواية أن الزعيم السـلال كان قـد توجه إلى الكلية الحربية في فجر يوم الثورة وانضـم إلى الثوار بعد أن أقنعـه النقيب عبـد الله جزيلان، وقد عرض عليه منصـب القائد العام للقـوات المسـلحة، ومرة أخـرى للتاريخ أذكر أن إشـاعة راجـت أوائل أيام

الثورة مؤداها أن بعض الضباط ذهبوا إلى دار السيد السلال ليلاً - بعد بدء العمليات العسكرية - لدعوته إلى الانضمام مع رجال الثورة فوجدوه متردداً بين الذهاب إلى حيث الإمام البدر للدفاع عنه بصفته قائداً لحرسه أو الالتحاق بالثورة وهو راغب بها، على أني أسرد هذه الإشاعة مع عدم تأكدي من صحتها وإن كانت نقلت لي من ضباط كبار وقتها.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى للثورة أن تمضي في طريقها وهكذا كان الأمر، فقد استمر الرمي بكثافة بين الجانبين حتى ضوء الصباح، الثوار يستهدفون القصر حيث البدر متخذين مواقع على الطريق الصيني في خط مستقيم مع القصر عبر بيوت المدينة المكتظة.. ورجال القصر من موقعهم.

وعندما فتحت المذياع فجر ذلك اليوم جاءني صوت المذيع يبشر بقيام الثورة والجمهورية وكان من بين من احتل دار الإذاعة المتواضعة السيد محمد الفسيل الوطني الشجاع.

حاولت الخروج إلى الشارع لأستطلع الأمور فنهاني أحد الضباط الشباب من خطورة التجول الآن فعدت أدراجي، ولأسجل للتاريخ هنا أن السيد عبدالواحد القائم بالأعمال المصري قال لي في اليوم ذاته إنه حاول الاتصال بي عند سماعه الرمي فلم يفلح وأنه لا يدري ما الأمر حتى إذاعة البيان. ولقد أخبرني البعض من الثوار بأنهم كانوا يحاولون ولو بتردد نقل أنباء الثورة إلى العراق، ولكنهم لم يجدوا التشجيع فآثروا إغفال الأمر، على أني قرأت بعدئذ في مذكرات السيد عبدالله جزيلان أنه كان قد أعلم المسؤول المصري بساعة الصفر في وقت مبكر.

هروب البدر من صنعاء وإغلاق المفوضية السعودية:

علمت حوالي الظهر أن الملك البدر غادر المدينة هرباً وأنه متجه إلى

حجة. بعد أن تأكد لي نبأ هروب البدر أعددت برقية رمزية لوزارة الخارجية أعلمها فيها بقيام الثورة وأن القائمين بها هم مجموعة من الضباط الشباب عددهم يتراوح بين ١٨ و ٢٤ ضابطاً على رأسهم النقيب عبدالله جزيلان الذي أصبح وزيراً للدفاع، وقلت في البرقية إن هذه الثورة ستمر بظروف غاية في الصعوبة بسبب تمكن البدر من الهرب، ونصحت حكومتي أن تعلن الاعتراف بالثورة أسوة بمصر التي أعلنت ذلك تشجيعاً لهذا التغيير المهم في المحيط العربي، وتأخر اعتراف العراق بالثورة الوليدة رغم تكرار برقياتي لوزارة الخارجية وزاد إلحاح المسؤولين علي بالتأكيد حول هذا الأمر. وقد اكتشفنا بعدئذ أن برقياتنا الرمزية لم تكن تبرق بغداد مما سيأتي شرحه في الفصل الخامس ص«٤٥».

بالمناسبة فقد طافت مظاهرة رجمت المفوضية السعودية بالحجارة. وقد نصحت المسؤولين على الفور بتأمين الحماية للقائم بالأعمال وللمفوضية وإذا كانت النية متجهة إلى قطع العلاقات مع السعودية فلا بد من تأمين الحماية الكاملة للموظفين وعائلاتهم عند تسفيرهم حتى الحدود حسب العرف الدبلوماسي وهو ما يطلق عليه Safe Conduct .. وقد تم ذلك إذ رافقهم حرس خاص إلى صعدة ومنها إلى الحدود السعودية.

زيارة النقيب عبدالله جزيلان للمفوضية العراقية:

وفي اليوم التالي زارني النقيب جزيلان ومعه بعض الضباط، وقد بدا عليه الإرهاق وكان يحمل سلاحه «الكلاشنكوف» معه، فهنأته على قيام الثورة وقلت له إني نصحت حكومتي أن تعلن اعترافها بالثورة. فقال إنهم يعولون كثيراً على اعتراف العراق بثورتهم. ونبهت الإخوة اليمنيين إلى ضرورة إصدار بيان يطمئن الدول الأجنبية على رعاياها والتأكيد على الالتزام بميثاق الأمم المتحدة ومبادئ عدم الانحياز ومؤتمر «باندونك»

وميثاق الجامعة العربية الخ... وقد ساعد ذلك الإعلان على تهدئة الخواطر وطمأن العالم الخارجي وخصوصاً الغرب إلى حد ما لمسار الثورة وغاياتها، وتحدث عن ظروف قيام الثورة وما إلى ذلك. وقال السيد جزيلان إنه يرجو أن تبعث الحكومة العراقية بمساعدة عسكرية للتغلب على ما قد تثيره بعض القبائل المتمردة من مشاكل. وقد علمت أن نفس الطلب قدم للمفوضية المصرية.

حول طلب المساعدة من مصر والعراق

سيجد القارئ أن الرئيس عبدالله السلال قد طلب إلي فيما بعد رغبته بتقديم مساعدة عسكرية محدودة من العراق للتغلب على مصاعب الثورة.

فالطلب الشفهي الرسمي قدم من الرئيس السلال وليس غيره. كما أنني لم أستلم أي جواب لهذا الطلب الذي نقلته إلى بغداد بالطبع. وقد وقع طلب الرئيس السلال عندما بدأت العمليات العسكرية و التمردات تتعقد، وكان الطلب منصباً على بضعة ألوف من الجند وبعض الطائرات، ولعل في ذلك تصحيحاً لما جاء في كتاب السيد سعد البزاز «حرب تلد أخرى – التاريخ السري لحرب الخليج ٤٦٢» الذي يقول: «من حسن الحظ أن الجيش العراقي لم يتدخل في اليمن إبان الثورة اليمنية عند تلقي إبراهيم الولي القائم بأعمال سفارة العراق في صنعاء يومئذ طلباً من محمد سعيد العطار يشعره فيه برغبة رجالات الثورة في قدوم قوات عراقية لمنع استفراد القوات المصرية باليمن.. فأبرق الولي إلى رئيس الوزراء العراقي آنذاك عبد الكريم قاسم الذي تأمل الطلب وأبرق يعتذر لأنه لم يكن يريد لصورة العراق أن تتهشم عبر تدخل عسكري غير مأمون وفي ظرف دقيق ربما كان سيؤدي إلى اصطدام عراقي – مصري في غير زمانه ومكانه».

كأني بمن صاغ الطلبين إن صح ذلك أعني إن صح طلب المساعدة من مصر والعراق قد قدما في وقت واحد أراد أن يعطي الانطباع بأن سياسة

الثورة تقوم على الموازنة في العلاقات العربية. ولكني أرى أن السيد جزيلان بالذات كان على اتصال بمصر وأن مصر كانت تعرف مسبقاً بنية الثوار وإن كانت لا تعرف ساعة الصفر بالتحديد، والدليل على كل هذا أن مصر سارعت لإرسال الدكتور البيضاني بطائرة خاصة ومعه شروط أريد إملاؤها تمهيداً لوصول المساعدة المصرية.

ولست أشك أبدا في أن السيد جزيلان يدرك أن مصر لا ترضى أن يشاركها أحد خاصة العراق حينئذ في مساعدة اليمن وما تجني المساعدة من مكاسب سياسية لا تخفى، فلماذا هذا الطلب الذي جاء في ظرف لا يسمح بتحقيقه. أعتقد أن الثوار وقد قاموا بالثورة أدركوا بعد هروب البدر وبدء نوع من المقاومة للنظام الجديد أن المشروع الذي نفذوه هو أكبر من حجم القوة المتوفرة لديهم وأنه لابد من عون خارجي يمكنهم من الثبات على ما حققوا من تغيير.

ولهذا جاء الطلب إلى الجانبين المصري والعراقي. وقد كان الجانب المصري عالماً مسبقاً بصورة ما سيحدث وإن كانت الصورة هذه مشوشة لديه بعض الشيء. أما الجانب العراقي فلم يكن مسبوقاً بأية معلومة أو إشارة. وهنا لابد لي أن أذكر للتاريخ ملاحظة هامة بهذا الخصوص فقد أخبرني أحد رجال الثورة أنهم كانوا راغبين بإشعار العراق بنيتهم بالقيام بالثورة توازياً مع إشعارهم للجانب المصري.. ويستطرد ذلك الرجل قائلاً إنه حاول مرة جس نبض القائم بالأعمال السابق حول نية إشعال الثورة في اليمن فما كان من المسؤول العراقي إلا أن يشير بإصبعه إلى صورة الزعيم عبد الكريم قاسم وتحتها لوحة مخطوطة تقول «نحن لا نتدخل في شؤون أحد». ولهذا سكت المسؤول اليمني معتقداً أن لا مجال لفتح هذا الموضوع وأن السكوت والكتمان أولى. وقد انسحب تأثير هذا الموقف على الكاتب، فعلى الرغم من قصر الفترة بين وصول الولي إلى صنعاء وقيام الثورة وهي فترة تقارب الشهر الواحد يبدو أن رجال الثورة يرون في القادم الجديد والنظام

العراقي حينئذ كان هو ذاته صنواً لسلفه وذلك واضح من حديثه مع السيد الضبي عندما زار المفوضية قبيل الثورة مما ورد في فقرة سابقة. علماً أني لا ألوم زميلي على موقفه الذي أملاه عليه التزامه الدقيق بالتعليمات. ومهما يكن من أمر فإن أحداً لم يفكر جدياً في بغداد بمغامرة غير محسوبة كهذه، والسبب في ذلك التوتر الشديد للعلاقات بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم، مما يحمل على الاعتقاد بأن وصول قوات عراقية ربما أدى إلى احتكاك عراقي- مصري لا أحد يتمناه. وقد يكون طلب المساعدة العسكرية أوحت به القاهرة ربما لتخفيف العبء الثقيل الذي كانت تنوء به جراء عمليات اليمن. لهذا وجدت بغداد أن تمد يد العون الاقتصادي والدبلوماسي دون العسكري في تلك الفترة وما لحقها.

أعود لمقابلة السيد جزيلان الذي قلت له إني عازم على تسفير عائلتي «زوجتي وطفلي وليد وخالد وزوجة السيد صلاح المحاسب» فرجاني السيد جزيلان أن أؤجل ذلك لئلا يحذو الآخرون حذوي، فعدلت عن الفكرة بالفعل ولم أتم تسفيرهم إلا بعد تسعة أشهر من تاريخه.

وهنا أود أن أصحح ما جاء بكتاب السيد جزيلان عن أسرار الثورة من قوله بأني طلبت إليه السماح للجالية العراقية في اليمن بالمغادرة... ففي الحقيقة لم يكن حينئذ في اليمن كلها من العراقيين غيرنا نحن العائلتين.. فالقول بأني طلبت السماح بتسفير الجالية العراقية هو قول غير دقيق مع الأسف لعله يعطي القارئ فكرة مضخمة خاطئة عما جرى.

حول عمليات الإعدام:

وفي الأسبوع الأول للثورة جرت عمليات إعدام رمياً بالرصاص لبعض رجال العهد الملكي وقد كنا نسمع بين الفينة والفينة صوت رشاش ثقيل يدمدم فيظهر لنا أن وجبة أخرى أعدمت.

أردت الاطلاع بنفسي على ما أشيع من أن جثث المعدومين كانت ترمى خارج أسوار المدينة في العراء. وبالفعل فقد شهدت جثث وزراء تنهشها الكلاب السائبة ولمحت رجلاً إيطالياً يسجل شريطاً سينمائياً لهذه المشاهد. فعدت مسرعاً لأنبه المسؤولين على خطأ ما يحدث. وقد اعترضني في الطريق شيخ نظيف الثياب شعر لحيته كثيفة ورأسه كالثلج، وقال وهو يحسبني مسؤولاً يمنياً «يا بني عليك أن تنبه المسؤولين للالتزام بقواعد الدفن عندنا نحن المسلمون فليتقوا الله في ذلك»، وذهب عني بعيداً فجأة ولحد هذه الساعة أحسب أني التقيت ملاكاً، وقد زاد ذلك من همتي إذ عدت مسرعاً إلى القصر الجمهوري منبهاً أحد كبار المسؤولين إلى ضرورة دفن الجثث فوراً والى منع المصور الإيطالي من تسريب الأفلام التي التقطها. وقد تم ذلك في نفس اليوم لحسن الحظ.

عند الحديث عن الإعدامات والمحاكمات السريعة لابد لي من القول بأن صاحب مقر السفارة السيد علي العمري - وهو وجيه تولى شؤون أملاك أخيه عبدالله العمري وزير الخارجية الأسبق الذي توفاه الله في حادث طائرة في إيطاليا، ومنها مقر سفارتنا - كان من بين المحتجزين الذين لا يعلم إلا الله ما كان يمكن أن يكون مصيره.

وقد هداني الله أن أرجو الرئيس السلال الرأفة بالرجل فكان أن أفرج عنه فوراً والحمد لله، فقد كان الرجل مسالماً وطيباً معنا وقد أصر على عدم رفع إيجار السفارة القديم رغم الإغراء الذي عرضه الوزير الأمريكي وكان يمثل أضعاف ما ندفع عرفاناً بالجميل. وقد علمت أنه أخذ على نفسه عهداً بعدم زيادة الإيجار تمشياً مع الأسعار الجديدة ما دمت أنا في صنعاء.

وصول صحفيين أجانب ويمنيين مقيمين في الخارج:

وفي الأسبوع الأول للثورة وصلت طائرة من بيروت تحمل صحفيين مهمين

للاطلاع على أحوال الوضع الجديد. وقد قابلني في السفارة على انفراد كل من مراسل الاوبزرفر البريطانية Gavin Young ومراسل لوموند الفرنسيةEric Roleau تحدثت لكليهما بإسهاب عن قيام الثورة وضرورتها للشعب اليمني وقد لفت ذلك نظر هؤلاء خصوصاً وأن العراق لم يعترف بعد بالثورة فقلت لهم إن ذلك «أي الاعتراف» عمل روتيني بحت لا يؤثر في حقيقة وجوهر شعورنا نحو أشقائنا.

وتصل طائرة أخرى تحمل أمريكان من أصل يمني هزهم الحنين والشوق لرؤية التغيير الذي هبت ريحه على اليمن. وقد تبرعوا بمبالغ لا بأس بها. وكان منظرهم وهم بقبعاتهم يبعث الأمل في النفوس.

بدء عمليات تمرد ضد الثورة:

تمر الأيام الأولى على قيام الثورة مليئة بالأحداث والترقب المرهق فقد وصل البدر إلى حجة وأعلن الأمير الحسن عم البدر ورئيس والوفد الدائم لدى الأمم المتحدة في نيويورك تأليف الحكومة الملكية في المنفى (١٠/٥/ ١٩٦٢) وكان الملكيون يسيطرون على الشمال في صعدة والشمال الوسط والشرق في وادي حريب. وصارت أنباء تمرد القبائل تتردد فشريف بيجان يعمل في الشرق ليرهق القوات الجمهورية في وادي حريب ويمد المتمردين من خولان وغيرها بالمال والسلاح، وهو المعروف بولائه للإنكليز والمنسق معهم.. ومن الشمال تتولى السعودية مدّ الملكيين بكل ما يحتاجونه.

وتقع بأيدي حكومة الثورة رسائل يبعثها ضابط إنكليزي إلى بريطانيا وهو Bourbon Conde Major Bruce A. de مستشار مع القوات الملكية واسمه المستعار «عبد الرحمن كنده». وفي حصار صنعاء (٢٨/١١/٦٧- ٨/٢/١٩٦٨) الذي دام سبعين يوماً كان لهذا الرجل الجنرال كنده والعقيد سمايلي الأمريكي دور بارز في قيادة الملكيين. وكانت هذه الرسائل التي تبعث عن طريق عدن يسيطر عليها الوطنيون في عدن

فيعيدونها إلى صنعاء وكنت أقوم بترجمة بعضها إلى العربية بطلب من السيد أحمد المروني وزير التربية آنذاك.

والواقع أن تمرد القبائل في اليمن ليس ذا مغزى سياسي أو عقائدي بحال من الأحوال، فهؤلاء رجال شجعان في شظف من العيش فتراهم جمهوريين صباحاً وربما عادوا ملكيين مساء فهم وراء من يدفع ويعطي بنادق أكثر وكأنهم في لعبة مسلية.

علمت من أحد رجال خولان مرة أن لديه شخصياً ٣٥ بندقية حتى إنه عرض علي واحدة كهدية فاعتذرت عن قبولها شاكراً. و القبيلي اليمني مقاتل شرس ورام ماهر تراه يتزود بكيس يتأبطه فيه ذرة بيضاء يقتات عليها ويشرب الماء حيث ما توفر. ولكن المهم لديه أن الرصاص الذي يحمله مبري كالقلم ليكون ماضياً أكثر عند إطلاقه. وتراه نحيفاً شاحب البشرة خفيف الحركة مما يمكنه من الهجوم والانسحاب بسرعة.

وتتلاحق الأحداث فيعلن الرئيس عبد الناصر في ١٩٦٢/١٠/٤ أنه بموجب معاهدة جدة «مصر – السعودية – اليمن» لعام ١٩٥٦ سيتدخل في اليمن، فما كان من السعودية إلا أن تقطع علاقتها بمصر في ١٩٦٢/١١/٦، وتبادر مصر في ١٩٦٢/١١/١٠ إلى عقد ميثاق دفاع مشترك بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن أمدها خمس سنوات. وتدخل السعودية في وحدة عسكرية مع الأردن في ١٩٦٢/١١/١٨م.

الفصل الرابع

الموقف العربي والدولي قبيل الثورة وعند قيامها:

برغم العزلة التي فرضها النظام الإمامي على اليمن طيلة قرون فإن المناخ العربي خصوصاً والدولي عموماً يظل المحيط الذي تتفاعل معه الأحداث الداخلية لأي بلد عربي، ولقد تأثر اليمن وثورته بمفردات هذا المناخ دون ريب.

فاليمن بموقعه الجغرافي الفريد المطل على البحرين الأحمر والعربي والمتحكم بمضيق باب المندب الاستراتيجي وثرواته الطبيعية الظاهرة والكامنة وتاريخه العريق يخضع شاء أم أبى إلى قواعد «الجيوبولتك»، لهذا نجد دول العالم تنظر إليه من زاوية مصالحها فإن كانت تلك المصالح حيوية ملزمة اهتمت بها وتدخلت ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً بهدف خلق تغيير يلائم مقاصدها، وإن كانت تلك المصالح لا تمثل أولوية لها فهي تظل تراقب الموقف متحينة الفرص المناسبة لممارسة التأثير الذي ترغب فيه.

فلنلق إذن نظرة سريعة على المحيط العربي في منتصف عام ١٩٦٢ وبدايات ١٩٦٣:

إن الدول العربية المرشحة للتأثير في مجريات أحداث التغيير اليمني هي مصر والسعودية والعراق وسوريا والأردن ودول الخليج العربي واليمن الجنوبي بالدرجة الأساس.

فأما مصر وسوريا فقد كانتا مستغرقتين في التكيف لوضع سياسي عقب انفصام الوحدة بين البلدين، ذلك الحدث المؤسف الذي سبب الكثير من الارتباك وعدم وضوح الرؤيا في سياسات البلدين بل وفي المنطقة العربية بأسرها. فلقد كانت مصر تبني أولويات خياراتها على توسيع نواة الوحدة العربية فما بالك بانفراط عقد هذه التجربة الرائدة في ١٩٦١/٩/٢٨.

أذكر أني عندما كنت قنصلاً في جنيف زارني ذات صباح السيد ساطع الحصري المفكر القومي الكبير، وكان في غاية الاضطراب والانزعاج، جاء يسألني عن ذلك النبأ المحزن، فعندما أكدت له بالجريدة السويسرية التي تؤكد النبأ انخرط الرجل المهاب بالبكاء فقد أدرك أنه سوف لن يدرك قيام الوحدة وقد بلغ من العمر أواخره.

هذا الحدث المهم سيرينا فيما بعد كيف أن مصر تحمست لقيام الثورة في اليمن إلى جانب عوامل أخرى كنوع من رد الاعتبار لهيبة مصر ومصداقيتها في المحيط العربي بالدرجة الأساس، فهي وإن كانت ترتبط حتى قيام ثورة اليمن بنوع من الاتحاد الواهن مع اليمن وعلى الورق فقط إذ كان الإمام أحمد يرتاب بسياسات عبد الناصر، إلا أنها كانت بمسارعتها لنجدة الثورة في اليمن تنشد بديلاً محتملاً عن سوريا شريك الوحدة المتمردو ولا يغرب عن البال ما للموقع الجغرافي الفريد المهيمن على مداخل البحر الأحمر متمثلاً بالجزر اليمنية المنتشرة في المنطقة فضلاً عن مضيق باب المندب من أهمية عسكرية وهو ما ترى فيه مصر مجالاً حيوياً لإستراتيجيتها.

أما عن سوريا فلم يكن لها دور فاعل في الثورة فكان أول تعاملها مع الثورة وصول وفد تهنئة في الذكرى الأولى للثورة مكون من الدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية والعقيد فهد الشاعر. ولم يبد اليمنيون حماساً للقاء الوفد كما هو وارد في مكان آخر من هذا الكتاب.

أما العراق الذي اشتهر بعلاقات تقليدية مع اليمن في الثلاثينيات وقد ارتبط بمعاهدة عام ١٩٣٠ إذ دأب على استقبال بعثات يمنية عسكرية ومدنية للدراسة في معاهد العراق وكان على رأس خريجي الكلية العسكرية ببغداد الرئيس عبدالله السلال والفريق حسن العمري واللواء حمود الجائفي والسيد أحمد المروني وغيرهم كثير. وقد كان العراق خلال الثورة اليمنية منشغلاً بظروف سياسية يلفها عدم الاستقرار، فكأن بهذا لا يعطي

الأولوية في خياراته السياسية لثورة اليمن وان كان مرحباً بها وقد مد يد المساعدة الممكنة لها وكان شعور العراق الرسمي قبل ثورة رمضان ١٩٦٣ أن ثورة اليمن تدور في فلك مصري يناصبه العداء فهو لهذا كان يتجنب التدخل الجدي الذي قد يقود إلى اصطدام عراقي- مصري لا أحد يستفيد منه أو يرغب به.

أما ثورة رمضان فقد أعطت الفرصة لحكم حزب البعث العربي الاشتراكي كي يلعب دوراً نشطاً في مجريات الأحداث التي أعقبت الثورة، إلا أن استحواذ المصريين وتمسكهم بسياسة احتواء الثورة اليمنية فضلاً عن عدائهم السافر للبعث في اليمن وخارجه حال دون إمكانية تطوير التدخل العراقي لصالح الثورة.

والشواهد عديدة على قيام السلطات المصرية بإحباط كل محاولة كان يقوم بها العراق مخلصاً لمساعدة اليمن حينئذ.

ولنأت الآن للدور السعودي الذي يرى في مجريات الأحداث في اليمن مصلحة حيوية تمس كيان المملكة السعودية السياسي والاقتصادي والعسكري، فالسعودية ترى في الوضع الراهن السابقStatus quo ante أي العهد الإمامي أفضل ما يحقق مصلحتها الحيوية على حدودها الجنوبية. فهي إذن ترى في التغيير الواقع تهديداً لها تعمل بكل وسيلة ممكنة على إحباطه أو على الأقل إحتوائه، كما أن عداءها المستحكم مع مصر وقتئذ أضاف عاملاً مساعداً آخر لحماسها في هذا الاتجاه.

وهكذا نرى السعودية تكون الخصم الأول للثورة ناصبتها العداء منذ اللحظات الأولى فشجعت أنصار الملكية وأمدتهم بالمال والسلاح وبكل شيء لممارسة نشاطهم من على أراضيها، فكانت هناك إذاعة الملكيين وكان هناك سيف الإسلام الحسن الذي عاد مسرعاً من نيويورك ليقود الثورة المضادة.

يبدو لي أن من بين الخيارات السياسية الخارجية للمملكة العربية السعودية ألا يكون لها جار في الجنوب لا يقوم بينهما تفاهم كامل يميل إلى الإذعان بشكل ما. وكانت السعودية ترتبط باليمن بمعاهدة الطائف لعام ١٩٣٣م.

ويحاول الأردن أن يلعب بإمكاناته المتواضعة دوراً ما في مجريات الأمور. وهو نظام ملكي يتعاطف مع حكم الأئمة بهذه الصفة فهو بصورة آلية يكون ضد أي تغيير ثوري يقضي على نظام ملكي عربي.. وهكذا كان فقد أرسل الأردن بضع طائرات محملة بالمساعدات للملكيين.. فما كان من قائدها إلا أن يتوجه إلى مصر لاجئاً. وبعد هذا لم يعد الأردن لبذل محاولات جادة من هذا القبيل اللهم إلا في ما يتعلق بتعاون لوجستي مع الملكيين في المنفى، ولعل دخول الأردن في اتفاقية قيام وحدة عسكرية مع السعودية في ١٨/١١/١٩٦٢ دليل على توجهات الأردن في تلك الحقبة.

وأما عن دول الخليج العربي فإن هذه لم تكن بمعزل عن الهيمنة الغربية التقليدية عليها لهذا فهي تظل متأثرة بما يتخذ من قرارات في واشنطن ولندن كي تسير على هديها، ينصرف ذلك على مسألة الاعتراف بالجمهورية الثائرة الجديدة وهما صفتان لا تتفقان مع معايير نظم الخليج، صحيح أن بعض هذه الدول بادرت إلى نوع من التعاون الاقتصادي مع النظام الجديد إلا أن ذلك كان يجري على أساس من المنافع التي كان يشكو اليمنيون من كونها تحقق للخليجيين بأكثر مما يقدمون، فعلى سبيل المثال كان اليمنيون يشكون من أن الكويت تجني من اتفاقها حول استغلال الموارد السمكية في شواطئ البحر الأحمر اليمنية أكثر بكثير من بناء الكويت مدرسة في اليمن! هكذا إذن نظر النظام الجديد إلى علاقاته مع دول الخليج العربي التي تماشي السعودية في توجهاتها.

ويظل اليمن الجنوبي المحتل شوكة في جنب الجمهورية الوليدة، فقد ناوأت

بريطانيا النظام الجديد بكل وسيلة ممكنة ظناً منها أن ذلك سيضمن لها بقاءاً أطول في عدن.. فقد جندت بريطانيا شريف بيحان الهبيلي وغيره من السلاطين والمشائخ لمشاغلة الجمهورية الوليدة و إيذائها فكانت إمارة بيحان في الشرق قاعدة لإنطلاق المخربين، وكان الأمر كذلك من يافع و دثينة و غيرهما، على أن الحركات الوطنية في عدن قامت بنشاط ملحوظ ومؤثر في معاونة الجمهورية... وفي مقدمة هؤلاء السيد عبدالله الأصنج ورفاقه في نقابات العمال وكلية بلقيس.

فلا عجب أن يتضايق الإنكليز من قيام الثورة في اليمن، فلقد شهدنا بعدئذ أن هذا الحدث المهم دق إسفينا في نعش احتلالهم للجنوب وكان في ذلك تمهيد لانضمامه لشقيقه الأكبر في الشمال.

ذلك في المشرق العربي أما عن دول المغرب العربي.. فمع استثناء الدول ذات النظام الملكي التي تتعاطف بطبيعتها مع مثيلاتها فإن الجزائر الثائرة كانت مرشحة لان تلعب دوراً نشطاً في تلك الظروف لولا أن الدولة المستقلة حديثا كانت منهمكة في تنظيم نفسها بما لم يبق لها من مساحة تسمح بالمساعدة الجدية.. وقد كانت زيارة السيد هواري بومدين وزير الدفاع وقتئذ إلى صنعاء للتهنئة علامة بارزة في هذا الاتجاه، ولو أن قصر إقامته ليوم واحد أثار شيئاً من عدم الارتياح لدى اليمنيين.

و لا يفوتني هنا أن أعرج على دولتين لعبتا دوراً هاماً في تاريخ اليمن وهما تركيا وإيران فمن المعروف أن كلتيهما قد احتلت اليمن كله أو بعضه وحكما لفترات تبدو آثارها حتى الآن سواء في القلاع على قمم الجبال أو في كلمات من اللغتين دخلتا في اللغة الدارجة بل وبآثار تتلمسها هنا وهناك وفي أسر يمنية ذات أصول تركية أو فارسية.. وعلى أي حال فلم يكن لهاتين الدولتين من تأثير ملموس في مجرى الأحداث خلال الثورة أو بعدها وقد بدتا وكأنهما عازفتان عن التدخل في هذا الأمر.

وقد يكون ذلك درساً من دروس التاريخ الذي يخبرنا بأن كل من قام باحتلال أرض من اليمن قد فشل في الإبقاء على ما حقق من انتصار، ينطبق ذلك على السعودية وبريطانيا وتركيا وإيران وإثيوبيا، فقد كانت اليمن عبر تاريخها الطويل عصية على المحتلين.

ولم يكن للدول الأفريقية المشاطئة لليمن في البحر الأحمر من تأثير يذكر على ثورة اليمن.

فمن بين هؤلاء تبرز إثيوبيا التي كانت الوحيدة ذات التمثيل الدبلوماسي في اليمن قبل الثورة وتربطها معاهدة صداقة (١٩٣٥) إلا أن العلاقة بين البلدين ظلت هادئة منذ أن احتل الأحباش اليمن يوماً ما، ولم تكن في السواحل المقابلة لليمن قد قامت إرتريا ولا جيبوتي فكانت تلك جزءاً من إثيوبيا يعتمل بعناصر الثورة التي أدت إلى استقلالها بعد لأي، وكانت الأخرى جزءاً من فرنسا. فلم تكن في ذلك الوقت مشكلة جزر في البحر الأحمر ومداخلة يدعي ملكيتها هذا أو ذاك. و إذا توغلنا إلى أبعد من ذلك نجد أن الصومال لم تكن قد استقلت بعد. وكذا الحال مع اوغندة في الداخل وحتى تنجانيقا وزنجبار التي لم تكن قد اتحدت فيما بعد لتكون تنزانيا، فلم يكن لهذه البلدان تأثير يذكر على الثورة.

ولابد لي أن أبين هنا أن الدول المشاطئة هذه كانت كلها مجالاً حيوياً لفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا فتلك مسألة مهمة تستدعي اهتماماً أكبر من الدول المستعمرة بما يجري في الجانب اليمني من البحر الأحمر الذي يظل هاجس تلك الدول من أن يكون للدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي موطئ قدم فيه يتيح لها نقطة انطلاق نحو أفريقيا الشرقية.

وفي تلك الحقبة من الزمن لابد لنا أن نتذكر انحسار دور بريطانيا في الدفاع عن الخليج العربي وامتدادته فضلاً عن مناطق أخرى من العالم في عملية تصفية للإمبراطورية، مما حمل الولايات المتحدة الأمريكية على الحلول محمل بريطانيا حيثما انحسر نفوذها، وهذا ما يفسر لنا اهتمام

الولايات المتحدة المتزايد في شؤون اليمن ليس فقط لكونها تلعب دوراً فاعلاً في أمن السعودية إقليمياً، ولكن النظرة الاستراتيجية الأمريكية كانت تحتم ذلك على مستوى العالم.

فالغرب كان يرى في اليمن المشرف على مضيق باب المندب خطراً على الممر المائي وعلى مجاله الحيوي في شرق أفريقيا. أما وقد أكمل اليمن الموحد الإشراف الكامل على المضيق وعلى الممرات المائية في البحر الأحمر والبحر العربي فقد بات ذلك عاملاً مهماً في تكييف سياسات الغرب عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً نحو اليمن، ذلك يضاف إلى هاجسهم الأساس المتمثل في الخوف من تسرب نفوذ سوفياتي إلى اليمن وقتئذ يكاد يبطل قيمة القواعد الأمريكية في السعودية إذ يكتفها لو وقع من الخلف.

والحق أن الولايات المتحدة تعاملت مع ثورة اليمن بشكل براغماتي فهي قد اعترفت بالنظام الجديد بعد بضعة أشهر ولم يكن الحال مستقراً وقتئذ في البلاد، كما أنها بدأت تتحسس طريقها للإسهام في إعمار اليمن وإن كان ذلك للتقليل من تأثير المساعدات الروسية ومن الدول الاشتراكية الأخرى. ولم يؤثر حادث اغتيال كنيدي واعتلاء جونسون مقعد الرئاسة على ذلك التوجه الأمريكي. وإن كنت شعرت بأسف المسؤولين اليمنيين العميق لاختفاء كنيدي من المسرح السياسي.

جدير بالذكر أن بريطانيا كانت ترتبط باليمن بمعاهدتين الأولى في صنعاء ١٩٣٤ والثانية في لندن ١٩٥١. وقد كان الدور الأمريكي حتى ذلك الحين هامشياً.

وبقي اهتمام فرنسا وإيطاليا في حدود دنيا إذ اكتفت الدولتان بالاستمرار على إيفاد أطباء ليسجلوا حضوراً إنسانياً وهم دون ريب عيون لبلدانهم، وجدير بالذكر أن فرنسا مرتبطة بمعاهدة صداقة مع اليمن تعود لعام ١٩٣٦، كما أن إيطاليا مرتبطة هي الأخرى بمعاهدة مماثلة عام ١٩٢٧.

ولنعرج على دور المعسكر الاشتراكي تجاه ثورة اليمن.

لقد بادر الاتحاد السوفياتي ومن ورائه جميع الدول الاشتراكية وكذلك الصين الشعبية إلى الاعتراف بالنظام الجديد حال قيامه، وليس هذا فحسب، بل لقد بادر الاتحاد السوفياتي إلى مد اليمن بالسلاح على مختلف أنواعه، وكانت الطائرات الروسية الضخمة «انتونوف» تنقل على ست رحلات يومية الأسلحة والذخائر إلى صنعاء، والحق أن تلك المساعدات أو بالأحرى ذلك الجسر الجوي كان ضرورياً جداً لديمومة الثورة مثلما كان الطريق الصيني الذي يربط صنعاء بالعالم الخارجي برا ضروريا لثورة لا بد لنا بمثل أن نلاحظ أن اهتمام الاتحاد السوفياتي باليمن بدأ بعد قيام الثورة البلشفية فقد عقد البلدان اتفاقات صداقة وتجارة في الأعوام ١٩٢٨-١٩٥٥-١٩٥٦، ولقد غطى اهتمام الاتحاد السوفياتي باليمن على اهتمامات الدول الاشتراكية الأخرى فكان لهذه دور ثانوي مكتفين في ما يبدو بالدور الرئيس لموسكو.

بقي أن نذكر أن الصين الشعبية كانت على علاقة طيبة مع النظام الملكي رغم أن هذا يبدو غريباً بالنظر لطبيعة النظامين وكأني بالصين وهي الدولة الشيوعية العقائدية كانت تضع مصلحة شعب اليمن نصب عينيها غير آبهة بنوع النظام فهي قد أقامت قبل الثورة أكبر مصنع للنسيج قرب صنعاء.. كما فتحت وعبدت طريق صنعاء – الحديدة الاستراتيجي والحيوي للثورة وهو مازال يسمى بالطريق الصيني حتى اليوم، وهكذا ضمنت الثورة وصول المساعدات الخارجية براً عبر هذا الطريق الذي يبدأ من صنعاء على ارتفاع ٢٢٠٠م ويصل أعلاه في مناخة إلى أكثر من ثلاثة آلاف متر ويهبط إلى مستوى سطح البحر في الحديدة. وأظن أن طوله يبلغ ٢٢٠كم، الأمر الذي حدا بالولايات المتحدة إلى المبادرة بفتح طريق بري بين صنعاء وتعز وكذلك بين تعز والحديدة. ولاشك في أنها أرادت بذلك صرف الانتباه عن الإنجازات الصينية في اليمن.

هكذا كان المسرح السياسي العربي والدولي، فالعرب للأسف لاهون

بمشاكلهم مع بعضهم البعض فليس لديهم الكثير مما يفيض لنصرة أشقائهم في اليمن وهم الأشد حاجة إلى كل عون.

والغرب والشرق كانا يتخبطان حينئذ بظروف الحرب الباردة فترى الجميع يلهثون وراء نقطة نفوذ أو موطئ قدم يساعد في التغلب على المعسكر المقابل.

أعتقد أني بهذه العجالة أردت أن أبسط للقارئ الظروف السياسية التي أحاطت بثورة اليمن من الخارج وهي التي أثرت وما تزال في الحقيقة تؤثر في نهج الثورة التي وإن كان المحيط الخارجي مهماً لها إلا أن سواعد أبنائها وقياداتها التي تحرص على نجاح وديمومة الثورة، كفيلة بصيانتها.

السياسة الخارجية لحكومة الثورة وما قبلها:

لم تكن خلال حكم الأئمة خطة منهجية لسياسة اليمن الخارجية ولا غرابة في هذا من نظام متخلف فردي يرى مصلحة البلاد مركزة في مصالح الحاكم.

صحيح أن هناك العديد من الاتفاقات المبرمة بين الحكم الإمامي والعديد من الدول العربية منها والأجنبية إلا أن ذلك لم يكن يتم إلا في أضيق الحدود وكأن اليمن مشروع تجاري يدر على صاحبه ما يصبو إليه. ألم يكن الإمام ممسكاً بكل مرافق الحياة شخصياً حتى لقد وصل الأمر أن الإمام يوقع بنفسه على أمر ملكي يقضي بصرف كمية من العلف للبغل الذي خصص للسيد درويش الحيدري الخبير الزراعي العراقي في الثلاثينيات عندما كان موفداً من العراق لتقديم المشورة لليمن «وقد حكى لي السيد الحيدري هذه القصة بنفسه». ألم تكن البلاد تدار بعقول تسخر من شعوبها فلا ترى فيها مؤهلاً لحياة عصرية. ولطالما تداول اليمنيون الكبار أغرب القصص بهذا المعنى ففي احداها مثلاً قيل إن بعض اليمنيين رأوا مقابلة الإمام لحثه على

السماح بفتح مدرسة لتعليم البنات فكان رده أن هؤلاء الناس لا يستحقون ذلك وأراد أن يضرب مثلاً لما يذهب إليه فما كان منه إلا أن يعلن على الملأ أن كبير الجن قد فلت من الصندوق الذي يجلس عليه الإمام وانه- أي الإمام- جاد بالقبض عليه وحجزه ثانية ولكن خشية على أبناء شعبه مما قد يحدث هذا المارد من ضرر فهو يأمر شعبه بأن يتقطرن ليكون بمنجى من هذا الجن «يتقطرن» معناها «وضع خط من القطران الأسود على جبهة الإنسان». ويقال إن الجميع تقطرنوا بناء على النصح الملكي.. وبعد ثلاثة أيام أعلن الإمام أنه استعاد السيطرة على الجان لهذا فلا حاجة بعد ذلك للقطران.. فما كان من الناس إلا مسح وجوههم والتوجه بالشكر للإمام على أن أنجاهم من شر مستطير.

يقال إن الإمام أراد بهذا أن يسوق البرهان على جهل الناس وبالتالي على عدم الحاجة للمدارس. طبيعي وقد عرفت الشعب اليمني عن كثب لا أرى في هذه القصة ما ينقص من ذكاء اليمني بقدر ما يظهر تفرد الحاكم وأستخفافه بالشعب.

لابد أن القارئ يصل إلى استنتاج واضح بأن نظاماً كهذا لا يسير على خطة مدروسة لسياسة خارجية كما تفعل دول متحضرة.

وجاءت الثورة وجاء معها رجال لهم الخبرة والكفاءة -على قلتهم- فانصب الاهتمام على تطوير الجهاز الدبلوماسي - وإن كانت التركة ثقيلة - فهي وسيلة تنفيذ السياسة الخارجية كما نعلم. وقد صار لهذه السياسة خطة وتقاليد تنفذ في محاور ثلاثة إقليمي.. وعربي.. وعالمي.

ففي المجال العربي نشطت الثورة في إجراء وإحياء الاتصال بالأشقاء العرب فتكون قد أولت أشد الاهتمام بجامعة الدول العربية وإشراكها في التطورات الطارئة على اليمن بعد الثورة، هذا فضلاً عن العلاقات الثنائية مع الأشقاء الراغبين في إقامة الحوار مع النظام الجديد، إذ أن هناك

من هو في الطرف المضاد.. كما أن التوجهات المصرية كانت ترسم لهذه العلاقات أطراً تقتضيها استراتيجية مصرية ثابتة.

وفي المجال الدولي التزمت الثورة بمبادئ عدم الانحياز ومؤتمر «باندونج» وبميثاق للأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة.

وشيئاً فشيئاً تبلورت تقاليد يمنية تبني سياسته الخارجية تستمد جوهرها من تاريخ اليمن العريق وثقافته وطبيعة أرضه وسكانه.. كما أضحت تقاليد اليمن السياسية التي نقلت الثورة في اليمن واقعاً بالضد تماماً لما كان من تقاليد سياسية تسبق ثورة أيلول ١٩٦٢ ومن الطبيعي أن تتحكم التقاليد الاقتصادية والاجتماعية في سياسات اليمن الجمهوري الخارجية، فالتطور الاقتصادي وما يرشح عنه من تطور اجتماعي الذي سعت إليه وحققته حكومة الثورة في اليمن لابد منعكس بوضوح على السياسة الخارجية لليمن.

أنا لا أقول إن النظام الإمامي الملكي لم يكن مهتماً بالأمم المتحدة أو الجامعة العربية أو حتى حركة عدم الانحياز. إلا أني أعتقد أن ذلك الاهتمام لم يكن ليجني لليمن ما يرجو من ثمرة نتيجة اتباع سياسة خارجية سليمة، كما أنه - أي اليمن - لم يكن له صوت مسموع في تلك الفعاليات، فكأن المشاركة بنشاطاتها لا تعدو تسجيل الحضور في تلك المنابر، ذلك فضلاً عن أن مراكز السلك الدبلوماسي كانت حكراً على محيط العائلة ومن لف لفها.



الفصل الخامس

حول تشكيل وزارة النظام الجمهوري:

ولنعد إلى الوراء قليلاً أن طائرة من طراز اليوشن ١٤ قد هبطت قرب صنعاء تحمل عسكريين مصريين ومعهم الدكتور عبد الرحمن البيضاني القادم من القاهرة ومعه اقتراح بتشكيل وزارة برئاسته تضم أسماء تريدها القاهرة. بالطبع فلقد أعطى السيد البيضاني انطباعاً مفاده أن وصول المساعدات المصرية مرهون بهذه القائمة وقد أعلمني أحد الموجودين في هذا اللقاء أن بعضهم قد استشاط غضباً لدرجة أنه كاد يرتكب عنفاً ربما مسلحاً ضد السيد البيضاني لولا تدخل الحاضرين.

وعلى أي حال فقد كان الثوار عمليين في رسم حل رضائي تم بموجبه تعيين السيد البيضاني اعتباراً من ١٩٦٢/١١/١ وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الجمهورية ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة وهي مناصب أعفي منها في نهاية يناير ١٩٦٣. لهذا فان قصر مدة توليه السلطة الفعلية في يمن الثورة لم يتح المجال لأن يترك بصماته عليه، وعندما جرد فيما بعد من مناصبه عاد إلى مصر يمارس التجارة. وفوق كل هذا وذاك، فان السيد البيضاني كان ينافس الرئيس السلال على منصبه ولعله طامح لمنصب الرئاسة بدلاً عنه. والحق أن هذا الرجل كان رجل مصر في اليمن إذ كان السادات يرعاه شخصياً إذ تربطهما علاقة معرفة سابقة.

وقد حكى لي السيد عبدالله الاصنج مرة أنه عندما كان في القاهرة استدعاه السيد السادات خصيصاً ليوصي بالسيد البيضاني لديه ولجماعته في اليمن الجنوبي حينئذ.

وما دام اسم الدكتور البيضاني قد ورد الآن فإني أود أن أذكر الحادثة التالية: بعد أن إعترفت بعض الدول العربية والدول الاشتراكية بالثورة اليمنية، كنا جميعاً حريصين على اعتراف الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية بالطبع.

وقــد كان الوزيــر المفوض الأمريكي الســيد روبرت ســتوكي مقيماً في تعز ويأتي إلى صــنعاء لمقابلة المســؤولين بطائرته الخاصــة وهو يزورني وكذلك يفعل الوزير البريطاني غاندي وقد كنت أدعوهما كلما جاءا وأبعث بحارسي الخاص العريف محمد معياد معهما كمرافق خشية من تعرضهما لمكروه قد يوقع الضرر باليمن وبهما.

ذات يوم زارني السـيد سـتوكي وقال إنه على موعد مع الدكتور البيضاني بعـد سـاعتين. وقد جـرى حديث بيننـا حول وسـاوس الحكومـة الأمريكية وشـروط اعترافها. وكان هذا الرجل - كما لمست- متحسساً لمشاكل اليمن. وأعترف أني أجريت مكالمة هاتفية مع السـيد أحمد المروني وزير التربية - وهو رجل وطني معروف ومتخرج من العراق- لأخبره بما سمعت من الوزير الأمريكي وليكون مجلس الوزراء على بينة مسبقة من الموقف، ورجوته إبلاغ الأمر للرئيس السـلال كي يوجهوا الدكتور البيضـاني بما يقتضـي ذلك لأن الاعـتراف الأمريكي كان هو الشـغل الشـاغل للحكم الجديـد والذي أعلن أخـيراً في ديسـمبر ١٩٦٢، فتوالـت اعترافـات دول الغرب علـى إثرها كما قبلـت أوراق الوفد اليمنـي الجمهـوري لاحتلال مقعده في الجمعية العامة في ١٩٦٢/١٢/١٩.

وعندما عاد السـيد ستوكي من مقابلة البيضـاني وكنا على موعد للغداء في بيتي بادرني الرجل بسـؤال وضـعني في منتهى الحرج حـول ما إذا كنت قـد كلمت أحـدا في الحكومة اليمنية حول حديثنا! شـعرت بالطبع بأن أمراً مـا قد حدث، فقلت له نعم إذ نصـحت مسـؤولاً يمنياً بـأن يتهيأوا لاجابتك فهـم كما ترى بحاجة للمسـاعدة. وقد علمت بعدئذ أن الدكتور البيضـاني فاجأه بالقول بأنك أفشـيت أسـرار تعليماتك للقائم بالاعمال العراقي قبل أن تبلغني بها.

وكم كان موقف السـيد «سـتوكي» نبيلاً وحازماً إذ رد بالقول بأنه تحدث

مع زميله عن أمور تخص الولايات المتحدة فهو لم يفش سراً يمنياً وهو يقدر تماماً مسؤولياته وليس من شأن الدكتور البيضاني حسابه على ذلك.

والدكتور البيضاني رجل ذكي طموح واسع فلقد رسم لي مرة وقد دعوته على الغداء في بيتي « كان ثالثنا وكيل الخارجية السيد محسن السري» أنه يرى أن يقتصر دوره في الثورة على التفرغ للتنظير لها كمثل دور «ماوتسي تونغ» في الصين!

تحضرني ملاحظتان حول مناصب السيد البيضاني: أولاهما أنه ظل يطارد السيد عبدالله جزيلان بقصد إفراغه من تأثيره الثوري وللانفراد بمراكز التأثير وكذلك فعل مع السيد محسن العيني وزير الخارجية في منصبه الذي عين فيه أول الثورة فسلبه منه يوم ١٩٦٢/١١/١م وعين ممثلا دائما لبلاده لدى الأمم المتحدة، وقد عرف السيد العيني إعفاءه وتعيينه من وسائل الإعلام، والسبب في استبعاد السيد العيني عن المناصب القيادية، كان بسبب انتمائه لحزب البعث العربي الاشتراكي، وهو أمر لم يكن المصريون مستعدين للتساهل فيه. و ثانيهما أن تسمية البيضاني نائباً للقائد العام للقوات المسلحة وهو رجل مدني لا علاقة له بالحياة العسكرية، فقد كان قائماً بأعمال سفارة اليمن في ألمانيا، هذا التعيين أثار حفيظة الجيش والمؤسسة العسكرية حتى باتت تنظر إليه بريبة.

حول اعتراف العراق بالثورة:

وتظل الأيام الأولى للثورة ثقيلة على نفسي بسبب عدم استجابة بغداد لبرقيتين أخريين أرسلتهما تأكيداً على طلب الاعتراف بالثورة الوليدة حتى لقد بقينا لصيقين بجهاز الراديو لعلنا نسمع بالاعتراف منه دون جدوى.

وفي هذه الأثناء تكاثرت الوفود علينا وكلها عاتب على العراق.. حتى كان عصر يوم زارني فيه السيد عبدالله جزيلان وزير الدفاع والشيخ أمين أبو

رأس شيخ بكيل والشيخ سنان أبو لحوم شيخ نهم. وقد كرروا في العتاب على تأخر الاعتراف فقلت لهم إني والله قد أمطرت بلادي بطلب الاعتراف ولا أدري إذ قد يكون عبد الكريم قاسم ممتعضاً من اتكالكم على المصريين، وعلى أي حال فها أنذا بحضوركم أكرر برقيا «رمزية» طلب الاعتراف. وقد فعلت ذلك وكلفت السيد صلاح مهدي محاسب السفارة بتسليمها شخصيا لعامل البرق ففعل الرجل.

وبينما كنا نحتسي الشاي ونتحدث في أمور كثيرة إذا بصلاح يعود مضطرباً فقد إكتشف بأن جميع برقياتنا السابقة لم ترسل، والسبب هو فتوى موظف مصري قال لزميله اليمني إن العراق لم يعترف بعد بكم فلا يجوز لسفارته المخاطبة رمزياً.

انتقض السيد جزيلان مهدداً بإعدام الموظف اليمني على فعلته هذه، وقد هدأنا الرجل. وكان المهم أن تطلق تلك البرقيات وقد تم ذلك ولم يفتأ الاعتراف أن أعلن في إثرها ورفع التمثيل من مفوضية إلى سفارة، ذلكم جواب التاريخ يفسر تلكؤ العراق بالاعتراف بالثورة اليمنية مبكراً.

وبعد عامين من هذه الحادثة وعندما عدت إلى بغداد في طريقي إلى ستوكهولم حيث كلفت بفتح سفارتنا هناك عام ١٩٦٤م، التقيت بوزير الخارجية هاشم جواد وكان خارج المسؤولية وسألته عن التأخر الذي حدث فقال إننا لم نكن نعرف مصيركم اذ انقطعت أخباركم عنا تماما فآثرنا الانتظار ريثما نسمع منكم، وقد كان ذلك بمجرد أستلامنا برقيتكم. شعرت بالطبع أن الإخوة اليمنيين كانوا لا يودون أن تنفرد مصر بعمليات اليمن فلو اشترك العراق فيها لكان هناك شيء من التوازن..

وفي نفس الوقت كان هناك شعور سائد بين المسؤولين مؤداه أن من الخير أن يأتي اعتراف مصر قبل الجميع فذلك يرضي الشعور بالزعامة لدى الإخوة المصريين.

عقبات في سبيل العلاقات العراقية - اليمنية:

ولكـن أنـى لنا ذلـك وقد بدأ الإخـوة المصـريون بمناكفة العـراق في كل مناسـبة، فيوماً تأينا مظاهرة إلى باب السـفارة تشـتم حكومة البعث عام ١٩٦٣م، وقـد رجم بعضـهم باب السـفارة بالحجارة ممـا أغاظني لدرجة أني خرجـت إلى الباب الخارجـي متحدياً فلمحت مصـوراً يلتقط فلماً من شباك السفارة المصرية المقابل لسفارتنا. ولقد إنفضت المظاهرة الصغيرة وجـاءني نفر من الشـباب يعتـذرون ويعترفـون بأنهم دفعوا لهـذا الموقف. وينبري راديو صنعاء بشتم العراق جملة وتفصيلا.

ويقع ذلك في نفس اليوم الذي لم تصل فيه ب اقية محملة بالأطعمة والذخائر ومعها مبلغ من المال بالعملة الصـعبة لرفد رصـيد البنك اليمني للتعمير.. وكان المبلغ بناء على طلب من السـيد عباس الحبشي مدير البنك الذي أنشئ بعد الثورة وقد علمت بعدئذ أن هذا المبلغ حول إلى البنك الأهلي المصـري من العراق فكان أن احتسـبته السلطات المصرية إطفاء لجزء من قرض مليـوني جنيه كان قدم لليمن. أما المواد الإنشـائية فكانت بطلب من الوزيـر عبدالله الكرشـمي. وكم كانت سـعادتنا أنا وزوجتـي بتلك البرقية الرمزية الطويلة التي أكملنا فك رموزها مع الفجر فسارعت لإبلاغ الرئيس السـلال بها بنفسي صـبيحة ذلك اليوم، وكان هو الآخر سعيداً بذلك. على أن إذاعـة صـنعاء انبرت ذلـك اليوم بإذاعـة تعليق هو تجريـح لا مبرر له بالعراق.

هذا وقد زارني الفريق العمري في اليوم التالي يعتذر عما بدر من الإذاعة بحـق العـراق فقلت له لا تقلق أيهـا الأخ الفريق فإذاعتكم لحسـن الحظ لا تسـمع خارج صـنعاء حينئذ أنا أتحمل نيابة عن بلدي ما يصدر من سفاهة وأنسـاه مادام في ذلك مصـلحة لليمن. فما كان من الرجـل إلا أن يعانقني عرفاناً.

ولم يكن الأمر مقتصراً على حكومة عراقية معينة.. فقد كان لعبد الكريم قاسم هو الاخر نصيب من الهجمات الإذاعية حتى إن الرئيس السلال انزلق لهذا الأمر في خطاب مرتجل له من المدرسة الثانوية.. وقد طلبت يومها مقابلة عاجلة مع وزير الخارجية البيضاني « الذي استقبلني بحضور وكيل الوزارة محسن السري»..

فقلت لهما إن من واجبي أن أسجل الاحتجاج على الهجوم غير المبرر ضد رئيس وزراء العراق، وقلت لماذا تدخلون في لعبة كهذه وليس لكم فيها ناقة ولا جمل، أليس من الأفضل أن تهيأ لنا فرص طلب مساعدات عراقية مختلفة، بدلاً من السعي وراء خصومة لا فائدة من ورائها! ولم يحد الرجل جواباً، بل حاول استرضائي بأن قدم لي قدح الشاي بيده.

رجاني مرة الفريق العمري مفاتحة بغداد حول استيعاب عدد من الطلبة اليمنيين «أظنهم ٢٧ طالباً» كانوا يدرسون صناعة النسيج في الصين «وقد أبعدتهم هذه عن بلادها» كي يكملوا دراستهم وتدريبهم في العراق.. وقد سررت لهذا الطلب فأبرقت به مقترحاً استيعابهم في معامل فتاح باشا حينئذ.. وقد جاء الجواب بالقبول فوراً وباقتراح أن تبعث الحكومة العراقية بطائرة نقل خاصة لنقلهم إلى بغداد، ووصل الأمر لحد إعطائي رقم إشارة نداء الطائرة.. وعندما أخبرت الفريق العمري بذلك رحب بالاستجابة وقال إنه يخشى على الطائرة من المرور بالأجواء السعودية وغيرها فصرفنا النظر عن الطائرة بفرض أن نتحمل أجور سفر الطلبة هؤلاء. وعندما تسربت المعلومات التي كنا نتستر عليها، وفي الصباح الباكر من اليوم ٢٢/١٠/١٩٦٣م طاف عسكريون مصريون ومعهم يمنيون في بيوت صنعاء وشوارعها يجمعون هؤلاء الطلبة ويضعونهم بسيارة عسكرية إلى الحديدة. ومن هناك وضعوا في باخرة مصرية إلى مصر بالرغم من اعتراض هؤلاء الطلبة وصياحهم.

وبعد أن علمت بهذه الحادثة طلبت موعداً عاجلاً مع وزير الخارجية السيد مصطفى يعقوب لعلي أجد تفسيراً لما وقع، وفي الساعة المحددة دخلت على الوزير فوجدت شخصاً مصرياً يجلس قرب مكتب الوزير.. فجلست وتبادلنا المجاملات واحتسيت معهما القهوة، وإذا بالوزير يدعوني للتحدث بما جئت من أجله.. فأشرت إلى الشخص الآخر ملمحاً بأن حديثنا يجب أن يكون خاصاً «عراقي-يمني».. وهنا طلب الوزير من هذا الشخص تركنا لوحدنا، فترك الرجل المكتب بتثاقل ظاهر» وهو سكرتير أول في الخارجية المصرية انتدب كمستشار لوزارة خارجية الثورة في اليمن»، وكان لكل وزارة يمنية مستشار مصري هو في الحقيقة الموجه للوزير.. وقد استكان بعض الوزراء لهذا الواقع وتمرد البعض عليه متجاهلين المستشارين وهو أمر أغضب السلطات المصرية. بعدها تحدثت للوزير عن الأثر السيئ الذي سيتركه حادث جمع الطلبة اليمنيين وإرغامهم على الشخوص إلى مصر رغم إرادتهم فما كان للوزير أن يرد بغير الموافقة على ما قلت ولكن ما باليد حيلة.

وبعد هذا الحادث وصلتنا مذكرة من الخارجية اليمنية ترجو قبول عشرة ضباط يمنيين للتدريب في الكلية العسكرية وكلية الأركان ببغداد أذكر منهم النقيب علي أبو لحوم وهو أخ الشيخ سنان أبو لحوم وقد عين بعدئذ سفير اليمن في الأردن وهو من رجال الثورة. وقبل أن يتسنى لنا ابراق المذكرة إلى بغداد عادت الخارجية اليمنية فسحبتها منا في صباح اليوم التالي، وقد علمت أن ذلك كان أيضاً بضغط من جهة أخرى، على أن هؤلاء الضباط وبما لهم من نفوذ وتأثير غيروا هذه الردة فعادت الخارجية تفاتحنا مرة أخرى بعد فترة وقد تم بالفعل تدريب هؤلاء السادة.. ولقد شعرت حينئذ أن الجهات اليمنية بدأت تتململ من التدخل الزائد في شؤونها فكان ما كان.

مثل هذه الحوادث كانت تقع من الأشقاء المصريين المقصود منها إسدال الستار على أي جهد مساند لليمن آت من غير مصر. والحقيقة أن هناك

الكثير من أمثلة الحوادث والتصـرفات غير المسؤولة التي استغلت لتضخيم الأخطاء ومن ثم لإذكاء روح سـلبية ضـد وجود القوات المصـرية في اليمن، ومـا كان يجـب أن يحدث ذلـك لو أن المسـؤولين كانوا أكـثر حكمة وحنكة. فلطالمـا تعامل بعضـ الجنود والضـباط مـع المواطنين اليمنيـين بروح من التعالي والتجاهل حتى في أمور الحياة والتعامل العاديين. وطبيعي أن جهات عديدة كانت تتربص بتلك الأخطاء لتبرزها في كل مناسبة.

حول مطار الرحبة:

حـدث يومـاً أن طائرة حربيـة أفلتت قنبلـة وهي تطير في مسـارها فوق مدينـة صـنعاء وهي في طريقها للاشـتراك في عملية حربية فقبرت أسـرة كاملة في عقر دارها.

وما أسـهل أن راجت الإشـاعة بأن تلك العائلـة المنكوبة كانت على علاقة بإسرائيل!!

أما الجهة الأخرى المنفتحة لصـنعاء من الشرق فتؤدي إلى مطار الرحبة حيـث المطار الـدولي الآن والذي بنى أول مدرج معبد له الاتحاد السـوفيتي في ١/٩/١٩٦٣م وهو يستقبل الطائرات أنتونوف العسكرية الست أو الخمس التي كانت تصـل المدينة صـباح كل يوم يقودها طيارون روس ولكنها تحمل علامات مصرية، هذه الحادثة والضرورات اللوجستية حتمت رصف وتعبيد مهبـط للطائـرات في منطقـة الرحبة شـرق صـنعاء وقد عهد بهـذا العمل للاتحاد السـوفيتي الـذي أنجز هذا المـدرج الذي يبلغ طولـه الكيلومترين في مائة يوم وقام بهذا العمل فوج من الجيش الأحمر بملابس مدنية وصـلوا عن طريق البحر، وقد حضرت الاحتفال بتسليمه والمعدات المستخدمة هدية إلى الحكومة اليمنية، وقد أدى تمسك الحكومة اليمنية بالمعدات المهداة من الاتحاد السـوفيتي إلى توتـر بينهما وبين القاهرة التي كانت تريد اسـتلام

تلك المعدات عن طريق مستشاريها في الوزارات المعنية، ولكن إصرار وزير الأشغال حينئذ المهندس الكرشمي أنهى الجدل حول الموضوع. باكتمال مطار الرحبة استغني عن المطار الغربي المذكور أعلاه.

وكان الاتحاد السوفيتي يحتفظ بتمثيل عسكري مهم في سفارته برئاسة الجنرال كوزوفاتكن الذي كان يرتدي الملابس المدنية وفي رأيي أن هذا المدرج والطريق الصيني المبلط كانا أهم أسباب نجاح ثورة سبتمبر في اليمن.

ولقد كان هذا المدرج مصدر قلق للولايات المتحدة الأمريكية فقد بدأ واضحاً حين زارني في السفارة مرة القائم بالأعمال الأمريكي الوزير «كورتادا» ومعه شخصان كبيران من وزارة الخارجية الأمريكية كانا في جولة في المنطقة، وكان الغرض من الزيارة الوقوف على ما يمكن عمله لمجابهة إنشاء هذا المطار من قبل الاتحاد السوفيتي في منطقة حساسة تقع إلى جنوب المملكة العربية السعودية، فهي بهذا تحبط ما للقواعد الأمريكية هناك من قيمة استراتيجية، وكذلك فإن موقعها في صنعاء ربما جعل منها منطقة انطلاق إلى شرق أفريقيا.

وكان الرجال الثلاثة على موعد مع رئيس الجمهورية المشير السلال: قال لي أحدهم ما العمل في رأيك قلت عليكم بالقيام بمشاريع تفيد اليمن فهي بحاجة لكل شيء، أما إذا كان المطار يقلقكم فلا أظن الحكومة اليمنية ستعارض لو أنكم عرضتم إنشاء مطار آخر في صنعاء أو في غيرها.

ولقد تحقق ظني إذ أعلمني القائم بالأعمال الأمريكي بعد مقابلة المسؤولين اليمنيين أنهم عندما أعربوا عن قلقهم لإنشاء المطار كان الرد هو الترحاب بإنشاء مطار أمريكي آخر أو القيام بأي مشروع للخدمات العامة في المدينة، وكان مشروع المياه هو ما جرى التفكير به لاحقاً على أن يسمى مشروع كندي. فضلاً عن فتح وتعبيد طريق المخا - تعز - صنعاء بطول ٤٥٠كم الذي كانت الولايات المتحدة قد وعدت بالقيام به أصلاً لمنافسة الطريق الصيني الذي يربط الحديدة بصنعاء.

دعوة عشاء:

وجهت الدعوة لشخصيات يمنية من وزراء ومشائخ وكان عدد المدعوين ١٨ مدعواً هو العدد الذي ظننت أن غرفتي الطعام والجلوس في السفارة يمكن أن تستوعبهم بشكل مريح. وقد كنا زوجتي وأنا حريصين كل الحرص على نجاح هذه الدعوة التي كانت فاتحة عملي في صنعاء لتتيح لي التعرف على مسؤولين بصورة أوثق. وليس كموائد الطعام مناسبة -لو أحسنت- أفضل لتوثيق العلاقات مع المسؤولين في أي بلد. قلنا للسيد المحويتي -الطباخ- أن يعد للضيوف القهوة في الصالون بعد العشاء فأصر الرجل على أن العادة في صنعاء أن يسير الناس إلى بيوتهم بعد العشاء مباشرة، ولكني لم أعره اهتماما وبقيت مصراً على إعداد القهوة، وعندما بدأ المدعوون الحضور لاحظت أن بينهم من لم يدع من قبلنا. وهكذا تزايد العدد حتى أصبح ثلاثين مدعوا فكنت أرى الشيخ الفلاني مثلاً يجلس ومعه حارسه الخاص بسلاحه.. وكذا المسؤول الكبير، فضلاً – وهذا ما عرفته فيما بعد- عن أن البعض يسأل صديقه في الطريق إلى أين يقصد فيرد المدعو أنا ذاهب إلى السفارة العراقية فيتبرع هذا الأخير بدعوة صديقه من باب المجاملة. ولمجابهة الموقف الجديد حيث اضطرب النظام في غرفة الطعام اضطررنا لقلب عشاء الجلوس إلى بوفيه لتدارك الأمر.

وهكذا وجدت نفسي أمام رجال استخدموا الجنبية «الخنجر» في اقتطاع اللحم من الذبيحة وكان منها كبشان. وجلس بعضهم على الأرض يعالج طبقه وآخر يستل فرشة أسنان «وليس مسواك» ليسلك أسنانه وهو على المائدة. وقد كرمني أحد كبار المدعوين وهو شيخ جليل بأن رمى باتجاهي فجأة قطعة لحم وعظم من الكتف - صائحاً - إليك يا إبراهيم- وقد تلقفت وهي بالطبع محملة بالرز المتطاير شاكراً إذ علمت أن ذلك كان تكريماً خاصاً لي. وعند انتهاء الطعام أخذ البعض يضع في جيبه الفاكهة وكانت

البرتقال وينصرف خارجاً كما توقع المحويتي الذي أكد لي أن وقف على باب الصالون يحمل صينية فيها ٢٠ كوب قهوة. وعند باب غرفة الطعام كنت كلفت زميلي السيد صلاح بأن يرشد المدعوين إلى حيث يغسلون أيديهم وكان هو يحمل زجاجة عطر لتعطير أيديهم.. فانبرى أحد الشيوخ لصلاح قائلاً كيف تريد أن يعرف الناس أني تدسمت عندكم! هو يقصد - وكان يضمخ لحيته الكثة بيده الدسمة — أن الغسل والعطور تزيل رائحة الدسم.

وبعد أن انفض الجميع جلسنا نرقب كمية العظام و الفضلات الهائلة تحت مائدة الطعام وكنا سعداء بهذا فقد أدت الدعوة رسالتها على كل حال. وقد تعلمت في هذه الدعوة وقبيلها أن اليمني المحترم والذي يحترم مخاطبه يميل على يده يقبلها فما يكون من هذا إلا أن يلتقط يد الأول ليبادله تقبيلها.. وتلك عادة تدل على الأدب والتواضع الجم.

أما إذا مال اليمني على الجالس بتقبيل ركبته فتلك علامة على احترام أكبر ورجاء من الشخص الثاني. أما إذا وضع الشخص إصبعه على خده فذلك دليل على الالتزام، وهو ما يسمى بطبع الوجه، وهي عادة منتشرة بين القبائل.

الاحتفال بالذكرى الأولى للثورة:

من الطبيعي أن يكون الاهتمام بالاحتفال بالعيد الأول للثورة وقد رسخت أقدامها- وباتت في موقع المهاجم لا المدافع- على أشده. فقد وجهت الدعوة إلى دول صديقة عربية وأجنبية عديدة لبى بعضها بإرسال وفود للتهنئة واكتفى آخرون بتكليف ممثليهم الدبلوماسيين في اليمن والبعض ممن لهم تمثيل غير مقيم ومعظمه من القاهرة- كالهند مثلاً- بإيفاد سفرائهم.

وفي يوم ٢٦سبتمبر جرى استعراض عسكري أظهر نواة منظمة للجيش اليمني من ناحية الضبط وانتظام السير والتدريب فلم نعد نرى في الاستعراض كما كان الحال سابقاً أن أحد أفراد الجوق الموسيقي يستعرض معه ولده الصغير ماسكاً بذيل سترته.

وكانت الأغنية الوطنية الشائعة حينئذ هي:«سلام الجيش للقائد وللعسكر وللضباط والأحرار يتكرر ولجمهورية الشعب اليمانية». كما أن ظاهرة عدم امتثال العسكري من السادة لتقديم الاحترام لرئيسه الضابط من العوام السائدة قبلئذ قد اختفت وحل محلها الانضباط اللازم والاحترام القائم على تسلسل الرتب في السلك العسكري بصرف النظر عن الانحدار الاجتماعي أو الديني، أي أن المؤسسة العسكرية بدأت تأخذ شكلها الطبيعي بما في ذلك احترام الحرفية العسكرية وذلك.. لعمري فأل حسن.

اتصل بي أحد الإخوان من وزارة الخارجية يرجوني التدخل لدى الفريق العمري لفك أسار بعض الموظفين من دائرة التشريفات الذين اعتقد الفريق أنهم مقصرون في الإعداد للاحتفالات فأمر بتقييدهم إلى مكاتبهم ليظلوا يعملون خلال الليل، وقد سوي الأمر بالطبع بعدئذ.

وصول وفد عراقي للتهنئة:

وصلت الوفود بالسيارات من الحديدة التي وصلوها بالطائرات غالباً عن طريق القاهرة. وقد تصادف لسوء الحظ قيام عمليات عسكرية حية في الطريق بين الحديدة وصنعاء مما ترك انطباعاً سلبياً لدى تلك الوفود ولابد لي أن أسجل هنا أن الرئيس السلال كان كرر علي نفس الطلب الذي سبق أن فاتحني به السيد جزيلان أوائل الثورة خلال زيارة سيادته للسفارة قبيل الاحتفالات، ذاكراً أن بضع طائرات وألفي جندي سيفون بالغرض.

وقد جاء هذا الطلب بعد قرابة عام على قيام الثورة وحين بدأت القوات المصرية التي ناهز عددها ٧٠ ألف رجل تعاني مشاكل اقتصادية وتعبوية، وقد نقلت الطلب إلى بغداد في حينه فتقرر على إثره تأليف وفد للتهنئة بمرور عام على الثورة برئاسة الدكتور أحمد عبدالستار الجواري وزير التربية والتعليم وعضوية اللواء الركن رشيد مصلح رئيس أركان الجيش والسيد عبدالحسين الجمالي القائم بأعمال العراق في مصر.

حدث بالصدفة ما أعطى فكرة واضحة للوفد عن عدم الاستقرار في اليمن حين اضطرت الوفود إلى المجيء إلى صنعاء بالسيارات من الحديدة التي وصلوها بالطائرات، وكنت والشيخ علي بن علي الرويشان عضو مجلس الرئاسة في استقبال الوفود قرب مناخة أي في حوالي ثلث طريق صنعاء- الحديدة، وكان الظلام دامساً والريح صرصر حين بدأ رمي كثيف بالصواريخ والمدافع في واد قريب منا يبعد قليلاً عن بني مطر، مما اضطرنا إلى العودة حيث يوجد معسكر حربي مصري. طبيعي أن الوفد عندما وصلنا كان قد مر على نفس المنطقة فكان أول سؤال للمرحوم مصلح لي بصوت خفيض أين الاستقرار وإنتهاء العمليات العسكرية الذي نسمع عنه إذن؟ وقد عقدنا اللواء مصلح وأنا اجتماعاً شرحت له فيه جميع ملابسات الموقف العسكري والسياسي فخرج الرجل مقتنعاً بأن من الضروري بالطبع

مساعدة اليمن ولكن دون إرسال قوات عسكرية ربما تزيد الموقف تعقيداً لوجود قوات مصرية، وهو تحليل كنت مقتنعاً به أنا الآخر.

وفي هذه المناسبة - أي مرور عام على الثورة - وصل من بين الوفود العربية للتهنئة وفد سوري برئاسة وزير الخارجية الدكتور إبراهيم ماخوس وعضوية اللواء فهد الشاعر وشخص ثالث، ولم يكن في استقبال الوفد أحد غيري وكأن الوفد سينقل مرضاً معدياً وقد وصل الأمر بالفريق حسن العمري حد أنه عندما علم بوجود الوفد في زيارة السفارة جاء على عجل للسفارة للترحيب بالوفد هناك، وكان ذلك للتستر على مجاملة الوفد السوري خشية إغضاب السلطات المصرية.

احتفال عسكري:

عندما تزايد الضغط على الجمهورية الوليدة من السعودية والملكيين من جانب، ومن الإنكليز وصنائعهم في الجنوب وبيحان من الشرق، وكثرت الإشاعات حول احتمال قيام السعودية بقصف صنعاء، فما كان من القوات المصرية واليمنية لتطمين سكان صنعاء إلا أن يرتبوا استعراضاً، الهدف الأساسي منه إظهار مقدرة المدفعية المضادة للجو على صد أي هجوم جوي، والحق أن موقع صنعاء بين جبل نقم في الشرق وجبل عصر في الغرب فضلاً عن جبل النهدين في الجنوب - وكلها تحيط بصنعاء إحاطه السوار بالمعصم - يتيح للمدافعين ظروفاً مثالية لهذا الغرض، بدأ العرض بإسقاط مظليين يمنيين كانوا نواة القوات المظلية، وقد أصر أحد القبليين اليمنيين على القيام بتجربة الهبوط هذه مع جهله بكل ما يتعلق بهذه العملية فكان له ذلك وقد قام بالتجربة فعلاً بنجاح بما يدلل على شجاعة اليمني وإقدامه.

بدأت بعدئذ تجربة الدفاع الجوي وكانت تقوم على إسقاط تمثال من القش بالبراشوت يمثل الملك سعود. وبدأت المدفعية الخفيفة والرشاشات تصم

الآذان، بقرقعتها موجهة نيرانها نحو تمثال القش الذي تهادى ببطء هابطاً حتى وطأ الأرض دونما إصابة، فما كان من أحد الضباط إلا أن يهرول له ليمزقه بالحربة ويشعل النار فيه، ولكن على الأرض. طبيعي أن الحاضرين من الأجانب صاروا يتبادلون نظرات ذات مغزى بعد هذه التجربة الفاشلة. وقال بعضهم إننا إذن لسنا آمنين لو لا سمح الله هوجمنا من الجو! وبعد هذا العرض التقاني الوزير الأمريكي فقال مازحاً إن عليكم يا أهل السفارة العراقية أن تتركوا السفارة في ما لو حدث هجوم جوي ذلك لأن الطيار السعودي عندما يحاول قصف القصر الجمهوري- وهو مجاور للسفارة- فربما أصاب السفارة بدلاً عن ذلك.

على أي حال حمدنا الله جميعاً أن لم يقع أي هجوم جوي على صنعاء أو غيرها من قبل السعودية أو غيرها فقد كان لسلاح الجو المصري السيادة الكاملة على أجواء اليمن، إذ كان يحتفظ بسرب من الاليوشن ١٤١ ذات المحركين وميك ٧١ واليوشن ٨٢ القاصفة ذات المحركين النفاثين. أما الطائرات الثقيلة بعيدة المدى من طراز تبوليف فكانت تقوم من مصر ربما من أسوان لتشترك في عمليات قتالية وتعود إلى مطاراتها ما عدا واحدة منها هبطت اضطرارياً في مطار الرحبة ثم أقلعت بعد إصلاحها، كما كان سرب مكون من ست طائرات انتونوف يستخدم للنقل تصل طائراته يومياً تباعاً وتغادر بعد تفريغ حمولتها وأخذ الركاب من الرسميين وغيرهم إلى القاهرة، وقد سفرت عائلتي بإحدى هذه الطائرات التي يؤخذ إذن فيها من رئيس البعثة العسكرية الروسية.. على أن عسكرياً مصرياً كان يسجل أسماء الركاب. وقد علمت بعدئذ أن السلطات المصرية طالبت الحكومة اليمنية بقيمة تذاكر هؤلاء المسافرين مما أزعج السفارة الروسية التي كانت تنشد الدعاية من العملية وحسب.

كما كان في المطار ضابط يمني نسيت اسمه برتبه ملازم أول فوجئنا بترقيته إلى رتبة عقيد مرة واحدة، وعندما سأله صلاح محاسب السفارة

مهنئاً كيف تمت هذه الترقية قال إن الأمر بسيط فقد رأيت كثيرين وقد رقوا إلى درجة عقيد فرأيت أن أرقي نفسي «وكان ذلك بأن اشترى من محل المترب الإشارة اللازمة لتلك الرتبة وثبتها على كتفه بنفسه» طبيعي أن إجراء كهذا لم يكن ينعكس على الراتب ولابد أن هذا الضابط قد أعيد بعد وقت إلى الدرجة التي يستحقها.

زيارة الصليف و المخا:

دعيت مرة مع مجموعة من الدبلوماسيين من السفارة الروسية لقضاء يوم في منطقة الصليف على البحر الأحمر حيث طرنا إلى الحديدة بطائرة روسية، ومنها بالسيارات إلى الصليف وهي منطقة عرفت بمقالع الملح فيها.. وهناك وجدت شواطئ لم تطأها قدم، نظيفة الرمل صافية المياه تداعبك فيها عدد من الدولفينات الودودة، وقد كلفت حكومة اليمن أيام الإمام أحمد شركة ميكوم الأمريكية للبحث عن النفط في تلك الشواطئ إلا أن الشركة فشلت في استكشاف النفط هناك قائلة إنها أينما حفرت في تلك المنطقة وجدت مقالع لملح الطعام الذي دأبت اليمن على تصدير معظمه إلى اليابان في حينه.

ومرة أخرى دعيت مع آخرين لقضاء عطلة نهاية الأسبوع قرب مدينة المخاS في الجنوب حيث وصلناها بالسيارات من تعز وقد أسفت لهذا المرفأ الشهير الذي كان بن اليمن يصدر منه حتى أطلق عليه في أوروبا «قهوة موكا» إذ وجدت المدينة شبه مهجورة تذروها كثبان من الرمل وميناؤها مهمل.

يعج البحر الأحمر هناك بأنواع الأسماك التي كانت تصطاد بالوسائل البسيطة فهي لم تكن قد صنعت بعد، وهنا لابد لي من أن أذكر أن اليمني من سكان المرتفعات «أي جميع اليمن عدا شريط تهامة السهلي الساحلي» لم يعتادوا على أكل السمك الذي يسمونه الحوت كغذاء بصرف النظر

عــن حجمــه، ولابد أن هذا الأمر قد تغير الآن كي يمكن الاســتفادة من هذا المصــدر الحيوي للبروتين كغذاء ضــروري، ولقد علمت فيما بعد أن الكويت قد حصلت على امتياز اســتغلال الثروة السمكية في الساحل اليمني فكانت تجني من ذلك أرباحاً لا بأس بها وكان اليمنيون يشكون من الإجحاف الذي لحقهــم جراء هــذا الاتفاق الذي يزيد مــن غنى الكويتي على حســاب فقر أخيــه اليمني! وقد شــكا أحد المســؤولين اليمنيين حول هذا الموضــوع بقوله أن الكويتيــين يأخذون منا ولا يعطوننا غير الفتات، مشــيراً إلى ما تتبرع به الكويت لليمن بين الحين والآخر.

الفصل السابع

تشكيل مجلس الرئاسة :

وتظل الجمهورية الفتية تعاني المشاكل مع القبائل المتمردة والتي يتذبذب ولاؤها بين الجمهوريين والملكيين ويتزايد عدد القوات المصرية لمواجهة ضغط الجانب الآخر، على أن القوات الجمهورية بدأت الهجوم المعاكس بدلاً من الموقف السابق المتمركز على الدفاع عن العاصمة صنعاء وما جاورها، وكان ذلك في ١٩٦٣/٣/٢٥م وهو نفس اليوم الذي اكتمل فيه عدد قوات المراقبين للأمم المتحدة أيضاً. وفي نيسان ١٩٦٣م زادت ثقة الثورة بنفسها فبدأت تتصرف لصياغة فلسفة لها فكان أن أصدرت الدستور المؤقت في ١٣/٤/١٩٦٣م من ستين مادة هو كالدساتير الحديثة بل قل إنه منسوخ عنها. وطبيعي أن أهم ما فيه هو التأكيد على رسوخ النظام الجمهوري وقبر حكم الأئمة المتخلف، وقد كان هذا الدستور هو أول دستور يصدر في تاريخ اليمن. وفي الشهر ذاته وفي ٢٩نيسان تم الاتفاق على تشكيل مجلس للرئاسة من عسكريين وشيوخ وقبائل ويكون مجموع أعضائه ٣٢ عضواً كلاً منهم بدرجة وزير وهم كالتالي:

١. المدنيون :

القاضي عبدالرحمن الارياني.
القاضي محمد محمود الزبيري.
القاضي محمد عبدالسلام صبرة.
السيد عبدالغني مطهر.
السيد علي محمد سعيد.
السيد أمين عبدالواسع نعمان.
السيد علي محمد الاسودي.

٢. العسكريون : «ثورة ٢٦ أيلول»

العميد حسن العمري.

العميد عبد اللطيف ضيف الله.
العميد محمد قائد سيف.
رائد أحمد الرحومي.
نقيب محمد مطهر زيد.
نقيب عبد الله الجائفي.
نقيب علي قاسم المؤيد.
نقيب عبدالله المؤيد.
نقيب أحمد الوشلي.
نقيب عبد الكريم الحوري.
نقيب شرف الكبيسي.
نقيب صالح الأشول.

٣. شيوخ القبائل:

الشيخ مطيع دماج
الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر.
الشيخ أحمد سيف الشرجبي.
الشيخ أمين أبو رأس.
الشيخ يحيى منصور نصر.
الشيخ علي ناجي القوسي.
الشيخ محمد بن عبد الله مناع.
الشيخ جار الله القردعي.
الشيخ سنان أبو لحوم.
الشيخ هزاع البدوي.
الشيخ نعمان بن قائد راجح.
الشيخ عثمان محجب ثوابة.

كما وزع هؤلاء السادة على ست لجان تهتم بتدوير شؤون البلاد وهي:

لجنة الأمن القومي.

لجنة الشؤون الحربية.

لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية والأشغال والمواصلات.

لجنة شؤون القبائل.

لجنة شؤون التربية والتعليم والعدل والأوقاف.

جدير بالذكر أن أعضاء هذا المجلس قدموا استقالة جماعية في ١٥-١٢-١٩٦٣م شملت نواب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذي وارتأوا بقاء الفريق حسن العمري فقط لتسيير الأمور إذ كان الرئيس السلال في القاهرة في تلك الفترة الممتدة.

عقد مؤتمرات شعبية كظاهرة سياسية:

ولا بد للمراقب أن يلاحظ أن حدثاً تاريخياً هاماً قد تحقق في اليمن حين تنادى رجال سياسة وشيوخ قبائل إلى عقد مؤتمر شعبي في مدينة عمران ٢-١٩٦٣/٩/٨م سمي مؤتمر عمران، وكان لولب هذا المؤتمر الأستاذ محمد محمود الزبيري، هذا الرجل الأديب الشاعر المتصوف والفيلسوف الذي اغتالته يد آثمة في «برط» فيما بعد وما درت أنها كادت تغتال اليمن بفقده.

لقد كان من طيبة هذا الرجل النادر أني كنت أزوره في داره يوماً وجرى حديث طويل ممتع كنت أستمع فيه لأستاذ حقيقي.. وبعدئذ جاء من يعلن وصول الوزير الأمريكي المفوض السيد كورتادا الذي وصل بناءً على موعد مسبق فما كان من الأستاذ الزبيري إلى أن يصر على أن أبقى معهما قائلاً إن اليمن والعراق واحد، وطلب مني أن أساعده في الحديث، ولكني أصررت على الاعتذار دفعاً للحرج خصوصاً وأن مترجماً كان يصطحبه الزائر الأمريكي.

وقد جاءت مقررات المؤتمر في خمس صفحات تغطي جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية فكانت بحق منهجاً لحكم ديمقراطي.. إلا أن الحكومة القائمة لم تكن راضية على هذا المؤتمر ولا على قراراته، بل إن الرئيس السلال في ما قيل عبّر عن امتعاض القاهرة منه وهو مقيم هنالك وقتئذ.

وبعد هذا المؤتمر جرت محاولات لعقد مؤتمر في خمر وآخر في حرض.. وكلها إنما كانت تجسد ولادة رأي عام شعبي ناضج يدرك ما يريد وإن كانت الصعوبات أقوى من منظميها للأسف.

تشكيل المجلس التنفيذي:

وسنرى أن مجلساً تنفيذياً جديداً تشكل في شهر شباط ١٩٦٤م يعكس معارضته لطريقة سير الأمور. وكان كما يلي:

المدنيون وقد ضموا إلى جانب رجال المدرسة القديمة في السياسة مجموعة من الشباب وهم السادة:

محمد أحمد نعمان.

محسن السري.

حسن مكي.

أما ممثلو المدرسة القديمة فهم السادة:

محمد محمود الزبيري.

عبد الرحمن الإرياني.

محمد علي عثمان.

عبد السلام صبرة.

كما أن مجموعة الضباط التي تمثل كتلة تتكون من ٦٠٠ ضابط ضمت مجموعتين الأولى صارت تنادي علانية بالتنازل عن الامتيازات وطالبت

الرئيس السلال باستشارتها وإشراكها في اتخاذ القرار وهي تضم بقيادة علي سيف الخولاني السفير السابق في موسكو- السادة:

النقيب صالح الأشول	سفير في موسكو
النقيب سعد الأشول	
النقيب علي قاسم المؤيد	سفير في بغداد
النقيب أحمد الوشلي	
النقيب أحمد الرحومي	
النقيب محمد مطهر	
النقيب علي الجايفي	
العقيد حمود بيدر	

أما الضباط الكبار الذين لا يتفقون مع الكتلة الأولى وهي كتلة متضامنة في ما بينها وراضية عن وضعها فتضم:

اللواء حسن العمري	نائب الرئيس ورئيس المجلس التنفيذي
العقيد حسن الدفعي	وزير الحربية
العقيد محمد الرعيني	وزير الداخلية
العقيد هادي عيسى	نائب وزير الحربية

أما الفئة الثالثة فهي المشائخ وتضم:

الشيخ/ سنان أبو لحوم	«نهم»
الشيخ / نعمان بن راجح قائد	
الشيخ / علي بن علي الرويشان	«خولان»
الشيخ / أمين أبو رأس	«بكيل»
الشيخ /عبد الله بن حسين الأحمر	«حاشد»
الشيخ علي بن ناجي القوسي	«الحداء»

الفصل الثامن

البعثات الدولية والعربية:

١ - وصول أول مبعوث من الأمم المتحدة:

علمت من وزارة الخارجية اليمنية أن الدكتور «رالف بانش» وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية سيصل صنعاء في شباط ١٩٦٣ ليقوم بمهمة استطلاعية مبعوثاً من السكرتير العام للأمم المتحدة السيد «يوثانت». وقد كنت في المطار عند وصوله وحييته نيابة عن السلك الدبلوماسي الذي كان مقتصراً في الواقع على القائم بالأعمال المصري. وقد حمل الرجل إلي تحيات الدكتور عدنان الباجه جي ممثل العراق الدائم في نيويورك حينئذٍ عندما صافحته مرحباً.

زارني السيد بانش في السفارة وحدثته مفصلاً عن الثورة وضرورة ديمومتها والمخاطر التي تتهددها.. وقام بزيارة مأرب وكان راغباً في أن أرافقه في جولته لكن مواعيد مهمة أعاقتني عن ذلك مع الأسف. وقد رافقه السيد محسن العيني الذي كان ممثلاً دائماً لليمن لدى الأمم المتحدة في نيويورك. وقد أذيع بعدئذ أن الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي كلف من جانبه السيد «الزروث بنكر» في آذار ١٩٦٣م ليقوم في السعودية بمهمة موازية. بعد أن أبدت السعودية اعتراضها على زيارة بانش للسعودية إذ اعتبرته منحازاً لليمن. وما كان الرجل إلا منصفاً عرف عنه القيام بمهام سياسية في ظروف صعبة.. ولقد أدى مجهود المبعوثين إلى الوصول إلى تفاهم أو اتفاق فصل بين السعودية واليمن ومصر في ٢٩ نيسان ١٩٦٣م ينهي مساعدة السعودية للملكيين، وأن تبدأ مصر الانسحاب من اليمن على مراحل سريعة، وتنشأ منطقة منزوعة السلاح بين اليمن والسعودية بعمق

٢٠ كيلو متراً على كل جانب تضم مراقبين محايدين.

ومع أن بنود هذا الاتفاق لم تنفذ بحسن نية أو دقة مطلوبة إلا أنها كانت

بداية للبحث عن بصيص أمل في نفق مظلم طويل. و خير ما أدى إليه وأنعش الآمال في النفوس هو قرار الأمين العام للأمم المتحدة بإيفاد بعثة مراقبين.

٢ - بعثة مراقبي الأمم المتحدة في اليمن «UN Observation Mission in Yemen»:

أسست مقرها في قصر البشائر في صنعاء يوم ١٣-٦-١٩٦٣م وبدأت عملها في شهر تموز التالي، والحقيقة أن هذه البعثة التي ابتلعتها جبال اليمن الضروس وضراوة القتال الجاري لم تسجل النجاح المطلوب والمتوقع منها غير أنها أفلحت في وقف التدهور في الموقف، فقد كان عدد أفرادها مائتي رجل بمواصلات فقيرة. وقد رأس البعثة الجنرال السويدي «كورل فون هورن» الذي استقال في ١٩٦٣/٨/٢٧م فجاء بعده الجنرال الهندي ريكي وأعقبه الجنرال الهندي غياني.

وقد انتهت المهمة في ٩-١١-١٩٦٣م ثم مددت لغاية ٤-١-١٩٦٤م وقد اقترحوا مجيء السيد بيير سبينللي ممثلا للسكرتير العام ليرأس البعثة فتكون قد اصطبغت بصبغة سياسية.

كان السيد سبينللي الذي وصل اليمن في ٩-١١-١٩٦٣م وهو سفير سابق لايطاليا ومدير عام للمكتب الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف، دبلوماسياً عريقاً يناهز الستين عاماً حينئذ - وأرجو له العمر المديد إن كان على قيد الحياة - وذا شخصية محببة يستريح لها محدثها، وكانت تربطني بالرجل علاقة عمل إذ كنت قبل نقلي إلى صنعاء معتمداً لديه في جنيف ولهذا قويت أواصر الصداقة بيننا خلال وجوده في اليمن التي اعتز بها أيما اعتزاز فقد كان يقضي أمسياته معنا في البيت نتحادث في كل شيء يداعب أطفالي ونسمع الموسيقى الكلاسيكية التي يحبها كلانا. ولطالما قابل أكثر من مسؤول

يمني في بيتي وكنت أقوم بالترجمة له مع هؤلاء المسؤولين مساعدة لهم وله. وقد بقي في صنعاء شهراً واحداً وقال إنه يريد أن تكون مهمته سياسية في المقام الأول. وكان الرجل يعطف على اليمن ويفهم مشاكلها جيداً.

وعلى كل حال فقد انتهت مهمة هذه البعثة في ١٩٦٤/٩/٤م. وكانت في الواقع مقتصرة على مراقبة الوضع ورفع التقارير للأمين العام.

وعندما غادرت اليمن إلى بغداد في نهاية بعثتي قابلته في جنيف حيث مقره وكنت في طريقي إلى ستوكهولم. وقد دعاني والسيدة عقيلته وكذلك نائبه الفرنسي إلى غداء عائلي في بيته المقابل للمقر الأوروبي، وقد استعدنا كثيراً من ذكرياتنا عن اليمن ذلك اليوم.

٣ - بعثة الصليب الأحمر الدولي:

وصل السيد «دوباسكيه» من الصليب الأحمر الدولي من جنيف في بعثة للصليب الأحمر في أول شباط ١٩٦٣م. وكنت أعرف الرجل معرفة بسيطة حتى إني عرضت عليه صورة تجمعنا على مائدة غداء أقامتها الجامعة العربية في جنيف، فدعوته في السفارة وعلمت منه أنه في مهمة اطلاع على الأمور بعد الثورة.. وكذلك للتحقق مما إذا كان في اليمن أسرى سعوديون كما تدعي المملكة العربية السعودية.. ولقد ثبت عدم وجود هؤلاء وأن الموضوع مفتعل لإثارة ضجة و حسب.

وقد شرحت له أحوال اليمن وضرورة التغيير الذي ستحدثه الثورة. وقد كان هذا دأبي مع كل وفد يزورني أو حتى ممن أتصيدهم في الشارع أحياناً.

٤ - بعثة مجلس الأمن:

وصلت بعد ذلك بعثة استقصاء أخرى مكلفة من مجلس الأمن والأمين العام للأمم المتحدة تضم عدة سفراء ممثلي بلدانهم لدى الأمم المتحدة في نيويورك برئاسة سفير يوغوسلافيا وعضوية مندوب العراق الدكتور عدنان الباجه جي وآخرين. طبيعي أني قمت بزيارة للوفد بمجرد وصولهم في دار الضيافة وكانوا في رحلة شاقة إذ وصلوا صنعاء بالسيارات وقد وجهت لهم الدعوة – إكراما للدكتور الباجة جي بالطبع – وكان من ضمن الدعوة أن أعددنا لهم حماما ساخناً افتقدوه في دار الضيافة وكانوا بأشد الحاجة له.

وإنما ذكرت هذه الدعوة «التي يقام مثلها العديد دون أن تذكر» لسبب. فعندما عملت في يوغوسلافيا (٦٧-١٩٦٩م) وبعد الحريق المتعمد الذي سببه الصهاينة في بيت المقدس عام ١٩٦٩م، اجتمع رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية في بلغراد بدعوة من عميد السلك الدبلوماسي العربي السفير الليبي «السني المنتصر» وكنت حينئذ قائماً بالأعمال هناك، ووجهوا دعوة غداء مشتركة لوكيل وزارة الخارجية اليوغسلافية الجديد للتعرف عليه وللتحدث معه حول الحريق المشؤوم.

وكالعادة تبادل المضيف والضيف الخطب والمجاملات، وإذا بالسيد وكيل الوزارة يعرج على القول بأن أفراد السلك الدبلوماسي حيثما يكونون هم كالعائلة الواحدة، وتطرق إلى زيارته لليمن على رأس وفد عندما كان ممثلاً دائماً ليوغوسلافيا في نيويورك، وذكر بالتحديد كيف أن القائم بأعمال العراق هناك استضاف الوفد ونفض عنهم غبار السفر. وهنا قال له الليبي إن هذا الشخص موجود معنا مشيراً إلي فنهضت من مكاني وكنت على آخر مائدة الطعام فأحاطني بعد الغداء برعاية خاصة وطلب مني أن اتصل به عن أي شأن في الوزارة. وكان ذلك بالطبع امتيازاً. وبالفعل فقد زرت الرجل في مكتبه بالوزارة وكان في منتهى اللطف معي وقد سألني أن أبين له باختصار سبب المشاكل بين بلادي وإيران حينئذٍ.

ومعذرة للقارئ الكريم إذا ذكر هنا ما قلته بالضبط باللغة اللاتينية قلت سعادة الوكيل نحن نقول لإيران pacts sont servanda أي أن العقد شريعة المتعاقدين. ونعني أن على الجارة إيران أن تلتزم بروح ونص الاتفاقيات المعقودة بيننا. أما إيران فترد بأن الأحكام تتغير بتغير الظروف Ribus sic stantbus ومعنى هذا أنها تريد فرض واقع جديد وتفسير جديد للاتفاقات القائمة كلما شعرت أنها قادرة على فرض واقع جديد. وقد أعجب الوكيل بالإجابة وقال إنها أبلغ وأوجز تفسير أسمعه لما يحدث.

وقد أسفت أشد الأسف حين بلغني بعد لأي أن هذا الدبلوماسي المتميز قد لقي حتفه في حادث سيارة في ممر خيبر في أفغانستان حين عين سفيراً لبلاده في الهند وأصر على الالتحاق بمقر عمله بالسيارة، وقد كانت تقارير هذه البعثة في صالح الجمهورية الفتية بعد أن رأوا ما رأوا وسمعوا ما فيه الكفاية.

٥ - بعثة جامعة الدول العربية:

وبعد هذه البعثات الدولية وإذا كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قبلت أوراق اعتماد مندوب الجمهورية في ١٩٦٢/١٢/٢٠م أي بعد توالي اعتراف الدول الغربية، تحركت الجامعة العربية فقبلت أوراق اعتماد المندوب الجمهوري اليمني في شهر مارس/ آذار١٩٦٣م في الدورة٤٠. أقول بعد كل تلك البعثات الدولية قرر مجلس جامعة الدول العربية إيفاد بعثة سلام ضمت رئيس الدورة الدكتور ناصر الحاني مندوب العراق وعضوية الدكتور عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة ودعت الأقطار العربية للمساعدة في إعادة بناء اليمن وبمساعدتها في المجال الدولي. وقد بدأت البعثة زيارتها للسعودية والأردن ثم وصلت اليمن في ١٩٦٣/١٠/٦م.

أقمت للبعثة حفل عشاء موسعاً ضم الوزراء وقائدي القوات المصرية الفريق أنور القاضي والقوات الدولية الجنرال الهندي ريكي الذي وصل الحفل متأخراً ساعة كاملة بسبب التزامه بتوقيت القاهرة تمشياً مع توقيت القوات المصرية وكانت مفارقة اعتذر عنها. وقد لفت انتباهي الذوق الرفيع الذي يتمتع به السيد حسونة حين قال وهو يشم الورود الطبيعية على المائدة- وكانت حديقة السفارة تعج بها- ما أبشع أن يرى الإنسان زهوراً اصطناعية من البلاستك على مائدة الطعام.. وكان يشير إلى العشاء الذي أقامته السفارة المصرية في المساء المنصرم. إذ لم يكن في السفارة حديقة حينئذٍ.

ولقد أدت هذه البعثة الهامة خدمة جليلة للثورة اليمنية إذ فتحت أفقاً عربياً أطلت منه على مؤتمري القمة العربيين في القاهرة في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤م وكان حول تحويل مجرى نهر الأردن، وفي الإسكندرية سبتمبر/ أيلول ١٩٦٤م حيث بدأت وساطة كل من العراق والجزائر فقد وصل هواري أبو مدين وزير الدفاع ومعه وزراء الخارجية والشباب والسياحة والشؤون الاجتماعية ومكث يوماً واحداً فقط وهو أمر لم يرتح له اليمنيون أعني قصر مدة الإقامة وقد جرى له استقبال جماهيري حاشد. كما كلف العراق الدكتور شامل السامرائي وزير الصحة وهو رجل وطني غيور على قومه متحمس للقضايا العربية وقد زرته في مكتبه عند عودتي من اليمن وقبيل بدء مهمته بالوساطة وأوجزته عما يجري في اليمن فوجدته متفهماً للوضع متحمساً لمهمته.

وبعد هذه البعثة العربية جرت وساطات واتصالات عربية تقع كلها خارج نطاق هذا الكتاب إذ كنت قد غادرت اليمن عام ١٩٦٤م، وعلى أي حال فقد أدت تلك الجهود، مضافاً إليها الظروف الدولية التي سادت المنطقة العربية في أواخر الستينيات إلى انسحاب القوات المصرية من اليمن في ١٩٦٧/١٢/٩م. وبعد ذلك جرت محادثات بين رئيس وزراء اليمن والوفد

المرافق له مع الملكيين خلال المؤتمر الإسلامي في جدة ١٩٧٠/٣/٢٣م واتفق على إبعاد البدر وعلى اشتراك عدد من الملكيين في الحكم. وخلال إحدى جولات المفاوضات قابل الملك فيصل السيد محسن العيني٨ وقال له لماذا لا تسمون الجمهورية بالإسلامية، أي جمهورية اليمن الإسلامية.. فرد السيد العيني بذكائه المعهود يا جلالة الملك لو كان اسم المملكة العربية السعودية كهذا لحذونا حذوها ولكنها ليست كذلك فلنكتف نحن بتسميتها إذن. وكان الجواب مقنعاً.

ولعل من المفارقات هنا أني عندما عملت في باريس (١٩٧٢م) تعرفت على سفير اليمن الأستاذ أحمد محمد الشامي الذي كان وزير خارجية الإمام البدر خلال الحرب الأهلية بين الطرفين. وقد أهداني مشكوراً كتابه «إلياذة من صنعاء». وهو رجل دبلوماسي رقيق الحاشية وشاعر مشهود له، وطني تعرض للاعتقال أيام حكم الأئمة، وهو من عائلة طالما قارعت الاستعمار البريطاني. وقد أشرت إلى ذلك في فصل سابق.

قبيلة تعرض الولاء للجمهورية:

كان السيد «بيير سبنللي» يزورني في السفارة عصر أحد الأيام وسمعنا فجأة أزيز رصاص كثيف ترافقه أهازيج شعبية. وعندما سألنا عن مصدر هذا الإطلاق. قيل لنا إن إحدى القبائل التي اعتادت التمرد جاءت للقصر الجمهوري تعرض ولاءها.

اقترح السيد سبنللي أن نشهد هذه المظاهرة فوافقته وذهبنا لوحدنا إلى الساحة المقابلة للقصر الجمهوري «والقصر جار للسفارة» فكان المنظر مؤثراً ورهيباً فقد كان هناك بضعة آلاف من الرجال يطلقون النار من بنادقهم في الهواء في وقت واحد حتى تكاد الأرض تميد بنا من شدة الارتجاج.. وكان الرئيس السلال وبعض المسؤولين إلى جانبه يحيون هذا

الجمع بإطلاق النار من رشاشاتهم الكلاشنكوف.. وفجأة ظهر خلفنا الجنرال «غياني» قائد بعثة المراقبة الدولية وهو يحاول نصح سبنللي بمغادرة المكان خوفاً على حياته من رصاصة طائشة. ولكن الرجل كان شجاعاً إذ أصر على البقاء أطول فترة في الموقع إلى أن بدأت آذاننا تصم من شدة الصوت فعدنا قافلين إلى السفارة طواعية.

لقد كان الموقف الذي شهدناه مؤثراً وقد وصفه السيد سبنللي بأنه أغرب ما شاهد في حياته.. ولكني رأيت في الموقف ما يبعث الأمل على بقاء الثورة وديمومتها خصوصاً عندما يصدر هذا الموقف من قبيلة طالما خلقت المتاعب بجهل للجمهورية والثورة فتجد ولاءها متأرجحاً و متذبذباً، لطالما مالت به لمن يقدم بنادق، ومالاً أكثر. وقد بلغ الجهل ببعضها - وهم من قبائل الشمال في صعدة - أن يطلبوا من زائرهم المسؤول الجمهوري بأن يريهم «الجمفورية» وهكذا كانوا يسمون الجمهورية.. ظناً منهم أنها شيء مادي يحمل في الجيب. ولطالما وجدت دولارات مقسومة إلى شطرين مع قبائل كان يعطى لهم نصفه ويحتفظ بالنصف الآخر ضماناً لقيام المكلف بتنفيذه لعملية ما.

الفصل التاسع

بدء العودة - نيسان ١٩٦٤م:

زارني على غير موعد مساء أحد الأيام السيدان أحمد المروني وزير التربية وعبد الله الكرشمي وزير الأشغال، يرجوانني بحرارة وتأثر التدخل لدى السيد بيير سبنللي ممثل السكرتير العام ورئيس هيئة المراقبين الدوليين في اليمن من أجل إجراء عملية معينة أحتفظ بتفاصيلها لنفسي- ومعذرة للقارئ الكريم- وثقة مني بالرجلين وبما قالا بادرت للتحدث مع السيد سبنللي الذي كان معي على العشاء في السفارة عن تلك القضية وعن رجاء الوزيرين فما كان منه إلا أن أجرى اللازم مستخدماً صلاحياته وبالاتفاق مع المقر العام المسؤول في الأمم المتحدة.

هذه قضية يدافع عنها الأخ القائم بالأعمال المصري بحرارة لأسباب شخصية.. ويبدو أنه أجرى اتصالاً مع رئيس الجمهورية الذي استدعى بدوره المندوب الدولي يرجوه تغيير الموقف. إلا أن السيد سبنللي أصر بقوله أن السيد الرئيس مهتم بشئون الدولة في اليمن وأنا أهتم بشؤون الأمم المتحدة. وأغلب ظني أن السيد رئيس الجمهورية إنما قام بمسعى دون حماس بل لمجرد إرضاء المسؤول المصري ولرفع العتب.

وبعد أن أجرى اللازم خلال ثلاثة أيام بما يرضي اليمنيين أثار الحادث غضب القائم بالأعمال المصري الذي أعلن على الأشهاد أنه يعرف أن الولي «كاتب السطور» وراء هذا المسعى وأنه سيثأر منه ولا يترك هذا الحادث يمر هكذا.

إنما أوردت هذه الحادثة لأصل إلى نتيجة هي السبب في نقلي من صنعاء.. فقد استلمت برقية بعدها بفترة قصيرة من وزارة الخارجية تعلمني فيها بنقلي إلى طوكيو وعلى أن أنفك من عملي بسرعة لدرجة أن موظفاً إدارياً استلم مني السفارة.. السيد سيف الدين السنوي، وهو أمر يدل على الاستعجال الذي لم أفهمه في حينه. طبيعي أني فرحت لهذا النبأ

وإن كان النقل إلى طوكيو البعيدة هو نوع من عدم الرضا على الموظف في ذلك الوقت.. ولكنني على الأقل سألتحق بعائلتي في بغداد وقد فارقتها منذ عدة أشهر.

قمت بمراسم التوديع وقد بدأت بزيارة الرئيس السلال في بيته وكان الرجل كعادته ودواً حكيماً حتى إنه قال لي اعتبر نفسك سفيراً لنا في اليابان، وتمنى لي الخير.

وقد وصلني باسمه في السفارة كيس كبير من البن اليمني الذي أخذت منه معي عينة فقط وكذلك خنجر وحزامه احتفظ بهما في مكان عزيز على نفسي في بيتي كهدية.

علماً أني لاحظت بعض البرود في التوديع وقد لمح لي الرئيس السلال بأنه يشعر أني كنت وراء عدم دخول قوات عراقية إلى اليمن للمساعدة، ولم أعلق أنا على هذه الملاحظة فأنا أدرك أن له بعض الحق في ما قال.

كما بعث لي الوزير الكرشمي وآخرون هدايا أخرى كان أهمها صفحتين من القرآن الكريم كتبا على جلد قبل عدة قرون وقطعة نسيج من معمل الإمام صنعت في الثلاثينيات تتوسطها كلمة الجلالة «الله» وقد أهديتهما للسيد هاشم جواد وعقيلته عند عودتي إلى بغداد وكان خارج السلطة آنذاك.

طلبت من الإذاعة تسجيل كلمة أودع فيها اليمن وشعبه وقد كان ذلك وأذيعت الكلمة قبيل مغادرتي صنعاء.

وودعت السيد حسن مكي وزير الخارجية وإخواني وأصدقائي العديدين الذين ربطتني بهم علاقة متينة أعتز بها ولن أنساها. ولقد لاحظت بوضوح وأسف أن المسؤولين المحسوبين على مصر لم يكونوا في توديعي في المطار خشية تقريعهم.

وقفة وفاء للفريق حسن العمري:

أما الفريق حسن العمري فقد كان حينئذٍ في زيارة رسمية لألمانيا الاتحادية وعندما كنت في وداعه في المطار التفت لوزير الخارجية يقول: لا تدعوا هذا الرجل يترك اليمن بأي حال.

قال هذا وكأنه حدس أني سأنقل على عجل خلال غيابه. ولم أستغرب بالطبع عواطف هذا الرجل الوطني الشجاع نحوي فلطالما اصطحبني معه لمناورة الذخيرة الحية وكان يشكو لي همومه وكنا نتبادل الزيارة في بيته وبيتي بدون كلفة حتى أنه عندما زاد الضغط كثيراً عليه بقي عندي في البيت ثلاثة أيام وكنت قد سفرت عائلتي وقتها إلى بغداد ولم يكن أحد يعرف مكانه سوى كبار القادة العسكريين الذين يجتمعون به في غرفة الجلوس وكنت أتركهم عندئذ بالطبع.. ولقد وصلا الأمر ببعض المشائخ الذين احترمهم حد محاولة إقناعي بمفاتحة الفريق العمري للقيام بانقلاب معين وقد رفضت بالطبع رفضاً باتاً أن أتدخل في شأن كهذا .

والحادثة التالية هي الأخرى تلقي الضوء على علاقتي بالفريق العمري، فقد بعث لي السيد سبينللي ذات يوم مرافقه «رائد برازيلي» يقول لي إن السيد يحيى جغمان في خطر وأرجوك التدخل لدى الفريق العمري لإنقاذه «كان السيد جغمان موظفاً في ممثلية اليمن الدائمة في نيويورك وجاء يترجم للسيد سبينللي خلال بقائه في صنعاء.. والسيد جغمان من مثقفي اليمن ووطنييها درس في فرنسا وأمريكا وأصبح وزيراً للخارجية ثم سفيراً لبلاده فيما بعد».

ما كان مني إلا الشخوص على الفور إلى دار الفريق العمري وقد أيقظوه من قيلولة الظهيرة.. رجوته مساعدة السيد جغمان وقلت له إن هؤلاء هم ذخيرة اليمن للمستقبل فلا تسمحوا بالتفريط بهم.. فأراني الرجل نسخة

من منشـور يدعو للانقـلاب على أن يكـون فيه مجلس الرئاسـة مكوناً من السـادة محمد محمود الزبيري وعبد الرحمن الإرياني وعبد السلام صبرة ومحمـد عثمـان وأحمد المروني وأمـين نعمان ومحمد مكي زكـي، وأن يكون السـيد محسـن العيني رئيسـاً للوزراء وجغمـان وزيراً للخارجيـة. وقال إن العميد عباس رئيس المخابرات المصـرية في اليمن أعطى تعليمات مشـددة للقبض على جغمـان. ثم أردف الفريـق العمري قائلاً إنه سـيغض عنه إن اسـتطاع الهرب من صـنعاء خلال ٢٤ سـاعة. أما السـيد العيني فقد كان لحسن الحظ خارج اليمن وقتئذ. شكرت الفريق على ذلك وذهبت من هناك لتوي إلى مقر قيادة الأمم المتحدة في قصر البشائر وأعلمت السيد سبينللي ما حصل فشكرني الرجل وأوصل بطريقته الخاصة الخبر إلى جغمان الذي اسـتطاع التسلل إلى خولان «وهو بالمناسـبة خولاني» ومنها استطاع الوصول إلى عدن بعد فترة ليسـت بالقصيرة. وقد اسـتلمت من الرجل رسالة شكر رقيقة من عدن مع أحد القادمين، يقول فيها وأذكر جيداً ومعذرة إذ أسجل هـذه العبارة وأسـتغفر الله عليها: «قسـماً ليعبدك شـباب اليمن». وعندما اشـتد الضغط على صـنعاء وكانت إذاعة الملكيين تسمع بوضوح فيها سمعنا نـداء موجهاً لي يقول «إننا نحترم العراق ونرجـو القائم بالأعمال أن يأخذ عائلتـه قرب جبل نقم المحاذي للمدينة ليكونوا في أمان وعندما تدخل قوات الإمام المدينة فعلى السفارة العراقية

ألا تـؤوي حسـن العمري وغيره». وقد سـمع الفريق العمـري بهذا النداء فجاء يسألني ضاحكاً ما عساني فاعلاً لو تحقق هذا فقلت له، والله شاهد: إني أضـعك في عيوني وليس أقل من هـذا. فتأثر الرجل كثيراً لهذا الموقف. وهكذا توطدت العلاقة بيننا. ولعل الدور الرئيس الذي لعبه الفريق العمري خلال حصـار صنعاء (٦٧-١٩٦٨م) كان خير شـاهد لوطنية وشجاعة هذا الرجل الفذ.

مغادرة صنعاء إلى عدن:

نعود إلى السفر من صنعاء فقد أخذت طائرة «الداكوتا» العتيدة وكان معي السيد صلاح محاسب السفارة الذي نقل هو الآخر إلى تونس وكنا قد حجزنا سيارة من تعز إلى عدن ومن هناك تم الحجز على طائرة الشرق الأوسط إلى بيروت في فجر اليوم التالي. وبعد أن أقلعت الطائرة من صنعاء متوجهة إلى تعز في رحلة تستغرق حوالي الساعة إذا بها تهبط في مطار، عفواً إنما هو مهبط ترابي و حسب في البيضاء وهي في الجنوب في غير اتجاهنا. وقد اتضح أن من بين الركاب أحد أبناء السلطان الرصاص حاكم البيضاء وشيخها.

ونزلنا من الطائرة فكان استقبال برمي الرصاص ترحيباً بالقادم، وعندما عرف المستقبلون أني ممثل العراق- إذ كنت أذعت من راديو صنعاء رسالة وداع ليلة مغادرتي- أصر بعضهم على استضافتي لثلاثة أيام على الأقل قائلين إنه لا يجوز أن يصل سفير العراق هنا ولا نضيفه. وعندما اعتذرت بارتباطي بمواعيد الطائرة من عدن، قالوا إن الأمر هين فنحن من هنا نوصلكم إلى عدن بطريق البر.

ومعنى هذا أن أسافر عن طريق مكيراس وعبر يافع وربما دثينة لأصل بعد كم يوم إلى عدن. فكررت الشكر الجزيل لهؤلاء القوم الكرام معتذراً وهكذا نفذت.

وفي تعز وجدنا السيارة «لاندكروز» تنتظرنا فأخذناها ظهراً دون تردد وفي ضواحي تعز أوقفنا ضابط يمني مطالباً «بالفك» أي إذن الخروج من المدينة وعبثاً حاولت إفهامه أني دبلوماسي ولست بحاجة لهذا الإذن، إلا أنه أصر على ذلك ودعانا للجلوس معه ريثما يتصل بممثل الخارجية في تعز «الذي كان سامحه الله في جلسة تخزين القات عند أصدقائه» الأمر الذي سبب تأخيرنا ساعتين على الأقل. وطبيعي أن سراحنا قد أطلق بعد الاعتذار.

وسارت سيارتنا في سلسلة جبال ردفان في الليل بسرعة لا أبالغ إن قلت إنها لا تزيد على عشرة كيلو مترات في الساعة لوعورة الطريق، وكنت أرى الأفاعي تلمع على ضوء السيارة في الطريق فضلاً عن القردة التي عرفت في المنطقة، وقيل لي إن بعضها أبيض اللون وهو نادر. وقد كنا نسمع بين الحين والآخر صوت رصاص يطلق إذ كان أحرار الجنوب في ثورة ضد البريطانيين في منطقة ردفان بالذات. ووصلنا حدود عدن حوالي منتصف الليل.

وما إن اطلع الضابط البريطاني على جواز سفري حتى دعاني للنزول معه وقد أبقاني في غرفة مجاورة أكثر من ساعتين وانهالت علي الأسئلة إلى أين ذاهب وفي أي فندق ستقيم الخ.. قلت للضابط إني مسافر إلى بيروت بالطائرة التي ستقلع الساعة السادسة صباحاً فما كان منهم بعد احتجاجي الشديد على تأخيري إلا أن سمحوا لي بالذهاب إلى عدن إلى المطار مباشرة. وفعلاً تم ذلك وقد رافقتني سيارة عسكرية تسير خلفنا.

طبيعي أني لم أمر على منطقة الشيخ عثمان في عدن حيث كلفت بإيصال رسائل مهمة وبعض المال إلى بيت الأستاذ الاصنج.. وقد اضطررت إلى تسليم ذلك بعدئذ في بغداد لوفد يمني لإعادتها لأصحابها مع الاعتذار.. فاتني أن أذكر أن السفارة الأمريكية أقامت لي حفلة عشاء وداع في صنعاء وقد منحوني بالنيابة عن بريطانيا سمة دخول سياسية إلى عدن وطلبوا معاملتي كشخص مهم VIP فتصور!!

الوصول إلى بغداد:

وهكذا أخذنا الطائرة وكنت في حالة رثة لا يكاد وجهي يتبين من كثرة التراب وكذا ملابسي. ولقد لفت مظهري انتباه المضيفة الإنكليزية على طائرة الشرق الأوسط فأصرت على تقديم وجبة إفطار خاصة ورجتني أني أحدثها عما عانيت في الطريق.. ومرة أخرى يلفت مظهري انتباه ضابط

الجوازات في بيروت رعاه الله فقد أشار إلي بإصبعه أن أخرج من الصف لوضعي في محجر صحي ضد الحمى الصفراء، وعبثاً حاولت أن أفهم هذا الرجل أني دبلوماسي وأن قادم من منطقة لم تعرف فيها هذه الحمى على أنها وباء.. وما انتهى الموقف إلا بعد أن اتصلت بسفير العراق في لبنان طلباً للمساعدة. والمهم أننا وصلنا بغداد بعد يومين قادمين من بيروت.. وبعد أن نفضت وعثاء السفر عني والتقيت بعائلتي، قمنا زوجتي وأنا في صباح اليوم بزيارة الأستاذ هاشم جواد والسيدة عقيلته وكان خارج المسؤولية، وقدمنا لهما هدايا كما أسلفت. وعندما علم أني سأقابل وزير الخارجية في اليوم التالي نصحني بألا أنتقد الإخوة المصريين في اليمن ظناً منه أن ذلك سيزعج السيد الوزير الأستاذ صبحي عبد الحميد وهو قومي معروف.. فقلت للأستاذ هاشم إني سأقول للسيد الوزير ما أعتقده حقاً.. وقد كان ذلك بالفعل إذ وجدت السيد الوزير «أبو رافد» عندما قابلته بعدئذٍ ودوداً رحب الصدر وموضوعياً في تقديمه للأمور.

ذهبت لوزارة الخارجية للمراجعة حول سفري إلى طوكيو، فقابلت الأخ مدير الذاتية السفير عودة البياتي الذي قال لي أن أنتظر وزير الخارجية الأستاذ صبحي عبد الحميد الذي كان في طهران في زيارة رسمية حينئذ، لهذا قابلت الدكتور ناصر الحاني وكيل الوزارة الذي كان في زيارة رسمية لليمن في أيلول ١٩٦٣م على رأس وفد يضم السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية، إذ كان الدكتور الحاني رئيساً لمجلس الجامعة في تلك الدورة- كما أسلفت... وطبيعي أنه خلال مكوثه في صنعاء اطلع على عملي وعلى اتصالاتي وكان يشيد بي.

الفصل العاشر

المفاجأة:

ما إن جلست قرب الدكتور الحاني في مكتبه ورحب بي الرجل حتى بادرني بالقول: مسكين والله ما تستاهل اللي صار لك. فقلت مندهشاً وماذا جرى لي يا ترى سيادة الوكيل؟

قال إنك لا تدري حتى الآن أننا سحبناك من اليمن بناء على طلب من الرئيس السلال. الحق أني صعقت لما سمعت وأنا أستعرض شريط عملي في اليمن خلال قرابة العامين ما فرطت خلالها لحظة واحدة بمصالح اليمن بل لعلي- والله- غلبتها في كثير من الحالات على مصلحة العراق بلدي العزيز.. وما كنت أشعر إلا وأنا يمني قلباً وقالبا ولا غرابة في هذا فنحن جميعاً تعود أصولنا إلى اليمن.

كان أول رد فعل عاطفي صدر مني هو أن طلبت قبول استقالتي من الخدمة الخارجية إذا كان الأمر كذلك.. طمأنني الرجل قائلاً لا تقلق فإن الأمر سينكشف حتماً فإن في الأمر لعبة في ما يبدو، وأضاف معرباً عن اعتزاز الوزارة بما أديت من خدمات في اليمن، شكرته منتظراً عودة السيد الوزير.. علمت يومها أن السيد محمد أحمد النعمان وزير الدولة اليمني لشؤون الرئاسة قد وصل بغداد حاملاً رسالة لرئيس الجمهورية عبد السلام عارف وكان هنا أيضاً السيد أحمد المروني وزير التربية اليمني وكلاهما صديق حميم.

دعوت السيدين إلى الغداء في بيتي ببغداد وقلت لهما عما حدث لي مبدياً دهشتي مما وقع فاستشاطا غضباً وقال السيد النعمان إن له لقاء غداً بالسيد رئيس الجمهورية وسيحدثه في هذا الأمر فلا تقلق على شيء فنحن متأكدون من أن الرئيس السلال لن يبعث بشيء مما تقول.

وهكذا كان إذ عاد السيد النعمان ومعه الأخ المروني في الغد وأخبراني

بأنهما ذكراني بكل الخير لدى الرئيس الذي رد عليهما بأنه يسمع عني كل خير وأنه مندهش إذ أن طلب نقل الولي سلم إليه من قبل سفارة مصر وليس من اليمنيين وهم موجودون في بغداد. وهكذا تغير الأمر فما إن عاد السيد وزير الخارجية وقابلته إذا به يعرض علي أي مكان آخر أرغب به «وكان ذلك في ما أظن بتوجيه من الرئيس» وعرض علي أن أفتح السفارة العراقية في ستوكهولم وهي جديدة فقبلت وحملني أوراق اعتماد السفير المعين هناك السيد حردان التكريتي ورجاني أن أقابله في جنيف لإقناعه بقبول هذا المنصب. وقد تم ذلك بالفعل وإن كان الرجل متردداً في قبول المنصب، وعلى أي حال فإن هذا ليس موضوع الكتاب. وبعد انتهاء عملي في ستوكهولم نقلت برقياً إلى بغداد في كانون الثاني عام ١٩٦٦م كنائب لرئيس تشريفات رئاسة الجمهورية بدلاً عن السيد عبد الجبار الهداوي الذي حل محلي في ستوكهولم وقتئذ. جرت العادة على إعارة موظفي الخارجية إلى رئاسة الجمهورية لهذا العمل بحكم طبيعته. وبالرغم من التسمية «نائب رئيس تشريفات» إلا أني وسلفي وخلفي كنا رؤساء تشريفات، في الواقع، فلم يكن يرأسنا في التشريفات أحد.

العمل في ديوان رئاسة الجمهورية:

وعند التحاقي بمنصبي في رئاسة الجمهورية قدمني سلفي للرئيس الذي قال لي إنني اخترتك لأني أذكر تقاريرك في اليمن٩ علماً أن عديدين من وزارة الخارجية كانوا يتوسطون لدي لنقلهم لهذا المنصب. وسافرت مع الرئيس إلى القاهرة بدعوة من الرئيس عبد الناصر. وهناك حيث أقمنا في قصر القبة طلب وفد يمني برئاسة الرئيس السلال زيارة الرئيس عارف وقد اعتذرت يومها من الرئيس عارف بأني أرغب بزيارة القاهرة التي عشت فيها طالباً من ١٩٤٧ إلى ١٩٥٢ فسمح لي بذلك وعدت في المساء

نمارس أعمالنا إذ كان دور الرئيس في رد الدعوة للرئيس عبد الناصر في قصر عابدين، وقد كنت منشغلاً كثيراً بهذه المناسبة فلم أدر ما حصل خلال زيارة الرئيس السلال.

وفي بغداد خلال مراسيم تشييع الرئيس عبد السلام عارف عام ١٩٦٦م وأنا غارق في إجراءات المراسم كلمني الأستاذ أحمد محمد النعمان- والد محمد النعمان- وهو عضو مجلس رئاسة الجمهورية يرجوني أن أقابله لفترة قصيرة رغم كل انشغالي فاستجبت للرجل الذي أكن له كل الاحترام والمحبة، فذهبت إلى فندق بغداد. حيث وجدته والسيدين عبد الله جزيلان والمقبلي سفير اليمن ببغداد وبعد الترحاب الحار مع هؤلاء الأعزاء قال لي الأستاذ النعمان: أننا سألنا عنك عند مقابلتنا عبد السلام في قصر القبة بالقاهرة. فقال الرئيس عبد السلام إنك استأذنته تجنباً لمقابلة الرئيس السلال الذي أساء إليك بإرساله برقية يطلب فيها نقل من اليمن، وأن الرئيس عارف سمح لك بذلك فما كان من الرئيس السلال إلا أن يقول باستنكار إنه لم يكتب شيئاً كهذا أبداً.

وهكذا وضح الأمر عمن أنشأ كل هذه القضية، وبهذا الأسلوب الملتوي مع الأسف الشديد.

فشكرت الأستاذ النعمان وصحبه على هذه المعلومات القيمة التي تهمني شخصياً، وانصرفت وقد ارتاح بالي إذ علمت أن لم يكن جزاء عملي وإخلاصي لليمن جزاء سنمار والحمد لله.

لقاء الأستاذ أحمد النعمان في بلغراد:

ويشاء التاريخ أن يؤكد ذاته، فبعد سنين من هذه الواقعة وفي سنة ١٩٦٧م أكد لي الأستاذ النعمان قصة البرقية مرة أخرى حين كنت قائماً بأعمال سفارة العراق في بلغراد- «يوغوسلافيا» زارني الأستاذ النعمان ومعه ولده

فؤاد وكانا قادمين من بيروت بعد أن أطلق سراحه من السجن الذي شمل الفريق العمري ومسؤولين يمنيين كباراً في القاهرة قبيل نكبة حزيران ١٩٦٧م، وبعد أن كانوا- وهم أعضاء مجلس الرئاسة في اليمن- في زيارة للقاهرة لعرض أمور اليمن المتدهورة آنئذٍ على القيادة المصرية فكان ما كان.

وليسمح لي العم الأستاذ النعمان أن أنور القارئ بشيء عن هذه الحادثة المهمة كما وصفها لي شخصياً: يقول الأستاذ إنه كان قد تقرر في صنعاء إيفاد أعضاء مجلس الرئاسة ووزير الدفاع وآخرين إلى القاهرة في أوائل عام ١٩٦٧م للتفاهم مع الرئيس عبد الناصر والمشير عامر حول الشأن اليمني الذي آل إلى تفكك وضياع بسبب التخطيط السياسي الجاري في اليمن إنقاذاً للنظام الجمهوري الذي كثرت المؤامرات عليه فلا بد من مكاشفة القيادة المصرية لتبصيرها بما ينبغي اتخاذه من إجراءات في هذا الموقف.

وقد أقام معظم أعضاء الوفد في شقة الأستاذ النعمان في حي الدقي في القاهرة. وكان الوفد بانتظار تحديد موعد للقاء القيادة المصرية إلى أن استدعي وزير الحربية ومعه نفر من الضباط لمقابلة المشير عامر وعندما دخلوا مكتب شمس بدران أخبروه بأنهم قادمون للقاء المشير عامر، وهنا استشاط بدران غضباً مبدياً أن مقابلته هو تفي بالغرض وأنه عندما يتحدث فما على الحضور إلا الإنصات وحسب. طبيعي أن الوزير اليمني وأظنه السيد الرعيني كان يرى في المشير عامر نداً له وظيفياً ولهذا طلب مقابلته.. لذلك ترك الوفد اليمني مكتب بدران عائداً مبتئساً إلى رهطه. وطال الانتظار بالوفد اليمني على أمل تحديد موعد مع الرئيس دون جدوى، حتى جاء ما يشبه الفرج مساء يوم حين ظهر على الباب ضابط مصري يطلب السادة النعمان والعمري والوزراء.. ففرح الجميع بهذه المفاجأة فتطيبوا ولبسوا أحسن الثياب ونزلوا إلى الشارع ليجدوا أن كل واحد منهم

يجلس في سيارة عسكرية بحراسة ضابط.. واتجهت السيارات إلى طريق الهرم في الجيزة.

وبعدها - والوقت ليل - سارت السيارات في طريق الإسكندرية الصحراوي. وكنا نقول - والمتحدث هو الأستاذ النعمان - إن مقابلة الرئيس ستكون كما يبدو في قاعدة عسكرية خارج القاهرة.. ثم عرجنا على شارع فرعي تبين لنا بعدها في ضوء السيارات أننا سائرون إلى السجون العسكرية.. وفعلاً فقد توقفت سيارة كل منا أمام زنزانة انفرادية دفعنا إليها ونحن بملابسنا كاملة إلى أن سمح لنا بعد لأي باستلام ملابس استبدال من عوائلنا. وكنت وأنا في هذه العزلة التامة عن العالم أعاني الأمرين حيث أحاول سؤال العسكري الذي يدفع لي بالطعام عن مكان وجودنا أو سببه أو أي استفهام آخر فكنت عبثاً أفعل إذ بدا لي ذلك العسكري جماداً قدّ من حجر فهو لا ينبس ببنت شفة مما زاد بعذابنا.

والمهم في الأمر - يستطرد الأستاذ النعمان - أننا في يوم من الأيام اللاحقة اقتدنا في سيارات تجمعنا مع إخواننا الذين كانوا في عزلة عنا طيلة تلك الفترة وكان لقاء وبكاء وهكذا سارت بنا السيارات متجهة إلى سجن القلعة في القاهرة وهناك فقط علمنا بما جرى في نكبة حزيران ١٩٦٧م. وقد وجدنا في سجن القلعة الذي ضمنا جميعاً مكاناً مريحاً بالقياس لما فات.. والله لا شماتة - يضيف الأستاذ - فقد اكتشفنا أن شمس بدران نفسه كان يقبع في زنزانة مجاورة لنا بعدما دالت دولته وانحسر نفوذه. بعد هذا رفعنا طلباً للرئيس عبد الناصر نرجو فيه إعادة جوازات سفرنا المحجوزة والسماح لنا بمغادرة مصر فكان أن سمح الرئيس لنا بذلك وها أنت يا إبراهيم تراني وقد جئت من بيروت لأروح عن نفسي في هذا البلد الأوروبي أو ذاك. جدير بالذكر أن السيدين عبد الرحمن الارياني وعبد السلام صبرة عضوي مجلس الرئاسة اليمني أبقيا تحت الإقامة الإجبارية في محل سكناهما في القاهرة دون اعتقالهما.

وبعد... فلن يفوتني قول قائل بأن بعض جهات غير يمنية في اليمن لم تكن مرتاحة لعلاقاتي هناك خلال فترة عملي. وقد يكون لهؤلاء بعض الحق في ما يذهبون إليه حين يصدر مثل هذا الحكم بشكل شخصي بعيداً عن الموضوعية وبدوافع ذاتية لا تضع الأهداف الاستراتيجية لسلوك المرء في الحسبان عند تكوين مثل هذه الأحكام المبتسرة. على أن لسلوكي في اليمن ثوابت لم أحد عنها مطلقاً تلكم هي:

- مصلحة اليمن و مستقبلها بالدرجة الأساس. فلعل من نافلة القول تكرار الحديث عن حاجة هذا البلد لأية مساعدة دولية كانت أو شخصية. أليس اليمن حتى يومنا هذا يصنف بمعايير الأمم المتحدة والبنك الدولي على أنه من البلاد الأشد فقراً في المجموعة الدولية؟ فإذا كان الأمر كذلك في وصف اليمن عام ٢٠٠٠م فما بالكم بيمن ١٩٦٢م وما قبلها؟

أفلا يستحق هذا البلد أن تقال فيه كلمة الحق.. ويعمل من أجله بتجرد. هذا وجه للقضية...

- الوجه الثاني هو مراعاة شرف مهنتي كممثل لبلادي في بلد شقيق وهذا أمر ألتزم به وأحرص عليه أشد الحرص...

- والثالث أني أحترم كل من ساعد اليمن في محنتها وساعد على تثبيت ثورتها ضد الظلم.. فكان تدخل جمهورية مصر العربية بالحق عصا الإنقاذ لثورة كادت أن تغرق في مناسبات عدة لولا تضحيات أبنائها ومساعدة مصر.

حول الأخطاء التي تنقص من قيمة التضحيات:

أود أن أقول مع كل ذلك إن تدخل ج.م.ع في اليمن وان كان بالدرجة الأولى عملا قوميا جاء لنجدة الثورة في اليمن ومد يد العون لها، إلا أنه جاء أيضا نكاية بالسعودية.

فكان موقف حاد بين البلدين لا رجعة فيه فجاءت ثورة اليمن لتعطي لمصر الفرصة لتكيل للسعودية الصاع صاعين بالقضاء على أسرة حميد الدين الموالية للسعودية بطبيعة الحال... ولعل في كتاب أنور السادات «البحث عن الذات» ما يشير إلى ذلك.

والجانب الآخر هو رد الاعتبار للزعامة المصرية في عمل قومي وحدوي يتمثل بالاستجابة لنداء الثوار في اليمن ليعوض بعض ما لحق بها جراء انفصام الوحدة بين مصر وسوريا.

تدخل هذه شروطه لابد أن تعتري القائمين عليه خصائص القصور البشري في أنماط السلوك الفردي اليومية، فقد رأينا أن مجموعة الرجال الأكفاء من غير اليمنيين الذين كانوا يديرون شئون الجمهورية الوليدة هم أنفسهم من كانوا في دمشق عند انفصام الوحدة المؤسف.

لقد كان المشير عامر في دمشق وهو المسؤول العسكري عن حملة اليمن إلى جانب أنور السادات المسؤول السياسي عنها.. قد كانا يحكمان اليمن فعلاً من القاهرة ومن خلال زياراتهما المتكررة لليمن. وقد تشرفت بزيارتهما في صنعاء مرة للتهنئة بالعيد المبارك.. ومرة كنت مع الأستاذ صديق شنشل الوزير السابق والسياسي العراقي المعروف الذي كان ضيفي في السفارة فرغب بزيارتهما. وقد توسط للأستاذ العيني وصحبته إلى الاجتماع وكانت النتيجة خيراً وكان الرئيس عبد الله السلال حاضراً هذا الاجتماع.

كما كان كل من الفريق أنور القاضي - وأنا معجب بثقافة هذا الرجل وحصافته - والأستاذ أبو العيون المستشار القانوني.. والعميد عباس مسؤول المخابرات العسكرية وغيرهم في اليمن.. هم أيضاً أنفسهم ممن كانوا في سوريا.

الذكاء اليمني:

المواطن اليمني ذكي بالفطرة وحساس جداً.. فهو ممتن وشكور لتدخل مصر في اليمن، هذا صحيح. وهم لا يفتؤون يجهرون بذلك حتى يومنا هذا.. مرة يقول الرئيس السلال إنهم ينتظرون حتى «الزلط» ويعني رواتبهم بالطائرة من القاهرة.

حتى عندما سقطت واحدة من هذه الطائرات في منطقة أسوان تأخر دفع الرواتب فترة لا بأس بها لحين تدبير بديل للطائرة وما حملت. كل ذلك صحيح فلطالما جالست وحاورت شيوخاً وشخصيات يمنية ليس لها من الثقافة التقليدية حظ سوى الذكاء الذي فطرهم الله سبحانه وتعالى عليه.. فما وجدت فيهم إلا الإنسان المدرك المطلع الذي يعرف كيف يتدبر أمور الدنيا بأحسن طريقة، وفوق هذا وذاك فهو يعرف من أين تؤكل الكتف فتراه يوظف علاقاته - إن على مستوى الفرد أو الدولة - للحصول على مكاسب هو بأشد الحاجة إليها...

وأنا عندما أتحدث عن ذكاء اليمني تبرز أمامي صورة محمد أحمد نعمان، الشاب اللامع الذي اغتالته يد آثمة في بيروت وكان قبلها وزير دولة لشؤون الرئاسة، وقد كنا صديقين امتدت صداقتنا حتى بعد مغادرتي اليمن.. فقد كان ضيفي في ستوكهولم أقام في بيتي.. ثم التقينا في باريس وكان في زيارة لها وكنت قائماً بأعمال العراق هناك في تلك الفترة. كنت أساعد المرحوم محمد في صنعاء في لقاءاته. ويوماً جمعته بالسيد سبنللي في السفارة بناءً على طلبهما وقال لي سبنللي إن هذا الشاب ربما كان أذكى إنسان عرفته في حياتي. رحمة الله عليه وجزى الله والده العم الشيخ الجليل الأستاذ أحمد النعمان عنه خير الجزاء.

شعب كهذا لم يكن ينظر بارتياح للعمال المصريين الذي يؤتى بهم من الصعيد المصري لتبليط شارع مثلاً وهم - أي اليمنيين - أكثر شعوب

العالم بطالة تراهم يجلسون على حافتي الشارع يتساءلون مع بعضهم عن سبب عدم استخدامهم في مثل هذه الأعمال والتي لا تتطلب مهارة خاصة حتى إن أحد الفكهاء صار يدعو هؤلاء القادمين بالخبراء الأجانب وهم لا يعدون أن يكونوا من العمال اليدويين الصعايدة الذين يرشون الزفلت من أباريق تمهيداً لتبليط الشارع. وليتهم فعلوا ذلك جيداً فقد كانت نتيجة تبليط شارع جمال عبد الناصر حيث سفارتنا أن بلطوه من الحائط إلى الحائط دون إنشاء أرصفة أو مخارج لتصريف مياه الأمطار والتي صارت بركاً بعد التبليط بينما كانت الأرض الإسفنجية بطبيعتها تمتص تلك المياه قبل ذلك.

يسألني مدير البنك اليمني للإنشاء والتعمير عن مستوى رواتب الدبلوماسيين في العراق ومصر فأعطيه أرقاماً حقيقية عن تلك الرواتب ورتبها.. وكان كاسف البال إذ قال إن الحكومة اليمنية التزاماً منها بمساعدة القوات المصرية مالياً كانت تصرف الريال والدولار بسعر خاص يكلفها مبالغ طائلة.. على أنه اكتشف أن أعضاء السفارة المصرية- دون ذكر الأسماء- تقدم للبنك كشوفاً أظهر أحدها أن راتب أحد موظفيها يبلغ أضعاف راتبه الحقيقي ذلك للتمتع بامتياز سعر الصرف الخاص وفي ذلك ما فيه من سوء استعمال للامتياز.

ويسألني مرة أحد الوزراء عن كلفة بناء مدرسة ابتدائية في العراق فأرد عليه برقم متساهل فيقول لي إن المدرسة الابتدائية التي بناها مقاولون مصريون كلفت ثلاثة أضعاف ما تقول مع إن الحجر متوفر هنا وكذلك مواد البناء الأخرى.. وهكذا.. وهكذا..

رب قائل بأن هذه وتلك هي حوادث فردية منفصلة، ولكنني أعتقد أنها كانت تؤثر في مصداقية القوات المصرية رغم تضحياتها خصوصاً وأن أعداء كثاراً كانوا يتربصون بها يضخمون أخطاءها الصغيرة ليستعدوا الناس عليها.

هذه الأخطاء وغيرها تضاف إليها صعوبة ووعورة أرض اليمن للأغراض العسكرية...

وطبيعة القبيلي اليمني الذي يرى في كل متبنطل «أي يلبس البنطلون» أجنبياً غريباً عنه، وهو يرى أبناء القبيلة المجاورة غرباء عنه.. وهؤلاء وأولئك غرباء عن أهل المدن..فما بالك بأبناء دولة أخرى..

هذه الصورة تعطينا فكرة واضحة عن حجم المعاناة التي قدمتها جمهورية مصر العربية في اليمن والتي ساعدت بدرجة كبيرة على تثبيت صورة اليمن التي قامت على سواعد أبناء اليمن وثبتتها غيرتهم عليها بعد أن تكالب عليها أعداء أشداء كثيرون.

الرباط العاطفي بين العراق واليمن:

وكلمة أخيرة أود أن أثبتها للتاريخ هنا فلقد شعرت وأنا في اليمن بعاطفة خاصة يضمرها اليمني للعراق ليس بسبب التقارب في وحدة الأصل، إذ المعروف أن عرب العراق يرجعون أصلاً إلى هجرات خرجت من اليمن خلال بضعة قرون قبل الميلاد في أثر انهيارات سد مأرب إلى الشمال.. ولكن لأن جيلاً من المثقفين اليمنيين وخصوصاً العسكريين منهم قد تخرجوا في العراق، منهم الرئيس السلال والفريق العمري واللواء الجايفي وأحمد المروني وغيرهم..

كما أن اشتراك المرحوم جمال جميل الضابط العراقي الذي هاجر إلى اليمن منذ الثلاثينيات وخطط وشارك واستشهد في ثورة ١٩٤٨م، قد وثق هذه الصلة الروحية بين الشعبين العراقي واليمني..

لهذا كنت أجد كل الاحترام والتقبل النفسي الصادق ممن كنت أتعامل معهم في اليمن.. أو حتى أولئك الذين ألتقيهم عرضاً.

يحضرني مثل على هذا، فقد دعاني أحد الدبلوماسيين الأجانب مرة لرحلة صيد قصيرة في منطقة بني مطر القريبة من صنعاء، وكنت أحمل معي مسدسي الخاص فضلاً عن بندقية الصيد التي أعارني إياها ولست بمحسن استخدامها، فقد اصطاد الرجل مجموعة من طيور الفزان وفشلت أنا في اصطياد غراب. ولكن المهم أن مجموعة من شبان القبيلة التفوا حولي وقد سار صاحبي إلى منطقة الصيد بعيداً عني، فسألني أحدهم من أين نحن قلت أنا من العراق فما كان من الجمع إلا أن يجلسوا ويطلبوا مني التحدث عن العراق وقد فعلت.. ويلمح أحدهم مسدسي فيطلب أن يراه فسلمته المسدس دون تردد.. فما كان من القبيلي إلا أن تفحص المسدس ومرره على الباقين ثم أعادوه إلي مبدين الإعجاب به..

فقد شعر هؤلاء الطيبون أني منهم وأني أثق بهم فكانت النتيجة أنهم أصروا على دعوتنا إلى العشاء وكان الوقت عصراً فاعتذرت لهم بالطبع شاكراً وكرروا الرجاء أن أعود لهم يوماً آخر.

لم أندهش قيد أنملة فأنا أعرف أن هذا الشعب أصيل عريق قد يكون ظلم وعسف الأئمة أناخ بكلله عليهم فأعتم بريق معدنهم لزمن طويل، ولكن ذلك الليل قد انجلى الآن وعادت الصورة إلى بريقها بفضل الله وبجهود أبناء اليمن الغيارى. وفقهم الله.

الفصل الحادي عشر

قبائل اليمن:

يقوم فهم اليمن على فهم المؤسسة القبلية التي ما تزال متماسكة مترابطة قوية في الشمال والشرق من البلاد، فهذا قطاع واسع من الشعب اليمني كان وما يزال حتى في الدولة العصرية يشكل عنصراً هاماً من عناصر الدولة يؤثر سلباً وإيجاباً في حركة السكان وفي التنمية على وجه الخصوص اجتماعية أم اقتصادية.

كانت حصيلة اتصالي بمشائخ عديدين أفاضل وبكبار السن ممن أثق بهم وأحترمهم أن توصلت إلى تكوين فكرة عامة عن قبائل اليمن صنفتها بحسب خصائص وأوصاف تجمعها إلى بعضها. فقد وجدت بذلك تبسيطاً للقارئ الكريم.

ولابد لي من التذكير هنا بأن هذا التقييم الذي نحن بصدده يصح ويصلح للستينيات من القرن الماضي وهو تاريخ إعداده عندما كنت في الخدمة هناك. كما أن الأرقام الواردة فيه يجب أخذها بحذر فقد يبالغ بعض أصحاب العلاقة بأعداد رجالهم.

سيرى القارئ أن هذه القبائل تعتبر نفسها دولاً صغيرة ذات حكم ذاتي مصدره قوتها وترابط أفرادها وتمسكهم واعتزازهم بتقاليدها. ولقد كان معظمها يضع له حدوداً على الأرض بما يسمى «الخشبة» بحيث لا يمكن للزائر تخطيها إلا بما يشبه سمة الدخول وهو ما يطلق عليه «الفك». كما أن أئمة اليمن كانوا يعتمدون عليها في تثبيت سلطانهم يضربون بعضها ببعض، حتى إذا ما أفسدت إحداها - وهو تعبير يطلق على من يتمرد - فما يكون من الإمام إلا أن يأمر قبيلة أخرى لتهاجم تلك وتحتل أرضها وتسكن بيوت أهلها لفترة تطول أو تقصر بما يسمى «الخطاط» ومعناه الاحتلال، فترى أفراد القبيلة المهاجمة يحتلون بيوت القبيلة المنكوبة يعيشون على أهلها يسلبون قوتهم ويجبرونهم على خدمتهم طيلة فترة الاحتلال، وليت شعري من أوجد نظام الاستعمار الذي يقوم على نفس الأسس أهو الغرب أم الأئمة؟

إذن فلا يمكن للباحث في شؤون اليمن أن يستغني عن تكوين فكرة واضحة عن قطاع يشكل ٨٠٪ من سكان هذا البلد. هذا القطاع هو قبائل اليمن التي تلعب الدور الرئيسي في اليمن اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. فهذه القبائل ما تزال القوة الدافعة والمنتجة في البلاد مادام اقتصاد اليمن زراعياً. وحتى لو تصنعت اليمن فستمتص الصناعة أفراد هذه القبائل في المستقبل. من خلال هجرة الريف- المدينة التي ستنقل معها ذات العصبية القبلية والانتماء حتى وقت طويل.

كما أن أفرادها- خصوصاً سكان المناطق الزراعية الخصبة منهم- هم ممولو الدولة ولولبها الاقتصادي بما يجبى منهم من ضرائب وبما يستهلكون، وهم كذلك القوة السياسية في البلاد.

ويأتي الاستقرار من هدوئهم، وتضطرب أمور الدولة عند تمردهم. وهي إلى هذا لا تشكل وحدة سياسية بحال من الأحوال، بل لعل الأصوب أن يقال عن كل قبيلة كبيرة أنها تكوين ساذج للدولة، لها حدودها وعرفها ورئيسها والتزامها وحقوقها وقوتها. أما أهميتها العسكرية فذلك أمر واضح ما دام كل فرد في القبيلة هو أصلاً محارب، إن لم يقتن بندقية- وذلك نادر- فهو يتمنطق الجنبية «أي الخنجر» على الأقل.

قبائل اليمن انثولوجيا ذات أصول واحدة فهي إما عدنانية أو قحطانية.. أما اجتماعياً فهذا متعدد وهو مصدر الخلاف بين الباحثين حتى لقد افتقرت المكتبة إلى تحديد واضح لتلك القبائل والوقوف على عوامل ارتباطها وتنافرها. ويقدر عدد قبائل اليمن بحوالي ١٧٠ قبيلة سواءً من استقر في الهضاب أو في السهل الساحلي.

التقسيمات المناطقية لتشكيل قبائل اليمن:

التقسيم الجغرافي:

أ- الشمالية أهمها على حدود السعودية «لواء الشام» جماعة وصعدة وخولان الشام أو خولان بني عامر ورازح وهمدان وسحار ووايلة والحشوة. وهذه القبائل طالما كانت تحت تأثير السعودية لقربها وقد ناوأت الجمهورية عند قيامها. ومن قبائل الشمال حاشد وبكيل بأقسامها العديدة وأرحب.

ب- قبائل الشرق: شرق صنعاء حتى حدود بيحان وإلى الشمال الشرقي حتى الجوف والربع الخالي، وأهمها: خولان ومراد وقيفة واشراف حريب وعبيدة ودهم وبني نوف والجدعان وبني بهلول وسنحان وبلاد الروس. وبعض هذه القبائل في الشرق على علاقة ببريطانيا بواسطة شريف بيحان الهبيلي.

ج- قبائل الجنوب: على حدود اليمن الجنوبية ومنطقتها في باب المندب حتى حدود بيحان وتسكنها قبائل الحجرية فقعطبة فقبائل البيضاء وتقع إلى شمالها الحدأ وآنس، وهذه قبائل واعية لألاعيب الإنكليز ولهم ثقافة أكثر نسبياً من غيرهم.

د- قبائل الغرب: تسكن منطقة تهامة الساحلية من باب المندب حتى حدود السعودية عند ميدي في الشمال، وهؤلاء قوم مسالمون يمتهنون الزراعة والتجارة بحكم سهولة الارض وهم الزرانيق وبني عبس وبني مروان وبني قيس وبلاد المخا وبلاد زبيد وبني زيلة.

هـ- قبائل الوسط: أهمها قبائل حجة والاهنوم وكحلان وقبائل منطقة

صنعاء وعيال سريح، وعيال يزيد وبني حشيش وهمدان، وبني مطر والحيمتين والمحويت وقبائل منطقة إب وخبان وحراز.

حسب الإقليم:

سكان الجبال وسكان السهول: كل القبائل – عدا قبائل تهامة في الغرب ومنطقة الجوف- تسكن مناطق جبلية يصل ارتفاع بعضها إلى ٤٠٠٠ متر، ويعتقد أن ثلاثة أرباع مجموع قبائل اليمن تستقر في المناطق المرتفعة وأقل من الربع في السهول.

١ - التقسيم المذهبي:

زيود وشوافع متساوون:

يسكن الزيود الشمال والشرق وبعض الوسط وفيهم سادة ومنهم من يختار الأئمة والأعوان. والزيود هم أتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب «رضي» وهم من الهواشم الذي انحصرت الامامة بهم لزمن طويل. وكانت شروط الامامة في المرشح أن يكون ذكراً حراً علوياً فاطمياً سليم الحواس والأطراف مجتهداً سخياً يضع الحقوق في مواضعها مدبراً أكثر رأيه الاصابة مقداماً لم يتقدمه أحد مجاباً وأفضل زمانه. أكبر قبائل الزيدية حاشد وبكيل بما فيهما من أفخاذ وفروع كثيرة، وكذلك خولان وأشراف الجوف وحريب ووشحة والمحابشة وهمدان الشام وخولان بني عامر وآنس والحيمتين وحجة وسحار وجماعة ورازح. ويتركز الزيود في المنطقة الشمالية من بلاد الشام، كما هو الحال مع الإسماعيلية في جبل حراز الواقعة في شمال وغرب صنعاء وما حولها. أما الشوافع فيسكنون كل الجنوب والغرب ومعظم الوسط في المناطق الساحلية ومن أكبر قبائلها الزرانيق وفي عسير اليمن بني عبس وفي الجنوب الحجرية وقبائل البيضاء

وفي الشـرق عبيدة ومراد وقيفـة، وهم أتباع الإمام الشـافعي. وبينهم وبين الزيود منافسة يشعرون أنهم يحكمونهم بالقوة فلم يسبق أن حكم الشوافع. وقد ورثت الجمهورية بعض هذه الرواسب.

٢- تقسيم بحسب وحدة العائلة والاصل:

كان في الازمنة الغابرة إخوة ثلاثة: حاشـد وبكيل ومدحج، تفرعت عنهم قبائل كبيرة اهمها:

١. قبيلة حاشد:

التي تقطن منطقة واسـعة تمتد من قرب صعدة شمالاً وجنوباً حتى برط وحوث والقفلة وحرف سفيان وذيبين وغرباً إلى حجة. وأهم أفخاذها: عيال يزيد وعيال سـريح وقبائل حجة والاهنوم وسـنحان وهمـدان وبلاد الروس وكوكبـان. وهي من أشـجع قبائـل اليمن تقدم ١٠٠ ألف مقاتل مسـلح. قال قائد تركي في رجالها إنه لو كان على رأسـهم لفتح أوروبا. شـيخ مشـائخها عبدالله بن حسـين الأحمر الذي أعدم الامام أحمد والده الشـيخ حسين بن ناصـر الأحمر وأخاه حميد بن حسـين الأحمر. وحاشد قبيلة متماسكة أكثر من غيرها.

٢. قبائل بكيل وتضم:

١- ذو محمد وتسكن الطرف الغربي من الجوف وشيخها أمين أبو راس.

٢- ذو حسين وتقابل ذو محمد وشيخها الشايف.

٣- نهم هي في الشمال الشرقي لصنعاء وشيخها سنان أبو لحوم.

٣- دهم تسكن الطرف الأعلى من الجوف شيخها أحمد درمان وهم بدو رحل اعتادوا على قطع الطريق في الربع الخالي حتى خليج عمان.

٥- أرحب تسكن شمال صنعاء وتضم بني مروان وبني زهير ونسر، وهي قبيلة كبيرة على خلاف مع حاشد التي تحدها شمالاً وغرباً.

٦- خولان قبيلة كبيرة تغطي المنطقة الواقعة شرق صنعاء حتى مأرب وتضم:

٦- اليمانيتين: وتضم اليمانية العليا وشيخها القير، واليمانية السفلى وشيخها الصوفي.

٧- نهد وشيخها علي الرويشان.

٨- قروه، بني سحام. مسور خولان، السهمان، وخطر، الاعروش «علي بن ناجي الغادر» وكان من أشد مناوئي الحكم الجمهوري، بني شداد، بني ظبيان، بني جبر.

٩- جهم وهذه القبيلة تقدم ١٠٠ ألف مسلح، وكان الامام يعتمد عليها كثيراً في الخطط ويمكن القول بأن جميع أفخاذها تمردت في فترات على الجمهورية.

١٠- بني الحارث شمال صنعاء مباشرة.

١١ - بني حشيش «شمال شرق صنعاء» ومركزها السر.

١٢ - بني نوف وأشراف الجنوب يسكنون منطقة الجنوب.

١٣- قبائل عمران مركزها مدينة عمران وشيخها آل الصعر.

٣. مدحج أو مثحج:

وأفرادها مرفهون استوطنوا مناطق جبلية صعبة غرب صنعاء وجنوبها وتضم بلاد آنس في الجنوب الوسط وقضاء ذمار وبلاد يريم والحيمتين الداخلية والخارجية والمحويت وحراز وعنس والحدأ، وهذه من أهم المؤيدين ومشائخها أسرتا القوسي والبخيتي.

هذه هي المجموعات الثلاث التي تشكل قبائل اليمن الشمالية والشرقية الكبيرة، وهي كلها زيود، ينتخب الائمة منهم. وفضلاً عن هؤلاء هناك قبائل بلاد الشام التي أكبرها خولان بن عامر وشيخها «العوجري».

٤. أما الشافعية الكبيرة فهي:

١. قبيلة مراد «المنطقة الشرقية وتحدها قبائل البيضاء جنوباً وخولان غرباً وعبيدة شمالاً، وتحكمها أسر ثلاث هي: القردعي، الطالبي «العجي» ونمران.

٢. عبيدة منطقة مأرب وهي أول من تمرد على الجمهورية باحتلالها مدينة مأرب، ولكنها استسلمت بعدئذ. وهي عبارة عن قبائل رحل.

٣. قيفة تسكن القسم الجنوبي الشرقي وشيوخها من آل الذهب.

٤. قبائل البيضاء وتسمى «بنير» وتقطن القسم الجنوبي وتجاور العواذل ويافع العليا والمحميات الأخرى، وأكبر الاسر آل الرصاص والحميقاني، وتضم:

آل عزان وآل دبان «وهما مختلطتان في اليمن والجنوب» وآل عامر وآل حميقاني وآل الرصاص وآل عمر وآل هياش والملاجم وآل غنيم وآل طاهر.

٥. قبائل إب قعطبة وتسكن الجنوب الوسط وعلى الحدود الجنوبية بين البيضاء والحجرية.

٦. قبائل الحجرية: تغطي المنطقة الجنوبية حتى باب المندب وتحد الضالع ولحج «وأكبر الأسر المسموعة فيها «الشرجبي» وفيها الشيخ أحمد الشرجبي عضو مجلس الرئاسة» وتضم: اليوسفين والقبيطة والاعروق والاغابرة والاعبوس والاصابح وذبحان «أكبر أسرها آل نعمان ومنها الشيخ أمين نعمان» والزكيرة والقريشة وبني شيبة والمقارمة والمساحين والوازعية والمدابعة والعزاعز والمقاطرة والشراجبة وبني حماد وبني يوسف وسامع وجبل حبشي والاخمور والمشاولة والزريقة والاكاحلة.

٧. قبائل تهامة وأكبرها الزرانيق ومركزها بيت الفقيه وفي شمال تهامة تسكن قبائل بني عبس وبني مروان، وقد ساعدتا الملكيين بين حرض وميدي.

وعلى العموم فقبائل تهامة مشهورة بوداعتها.

٥. حسب التقسيم الاداري:

هي ألوية سبعة أضيف لها فيما بعد ذمار والمحويت ومأرب:

١. لواء صنعاء أكثر القبائل وأهمها حاشد وأرحب وخولان وبني مطر وبلاد الروس وبني الحارث وعيال سريح ونهم وحوث والمحويت وسنحان وبني حشيش وبني بهلول والحدأ وهمدان.

٢. لواء صعدة أو «لواء الشام» ومركزه صعدة ويضم قبائل خولان بني عامر وبني جماعة وقبائل صعدة وسحار وهمدان الشام.

٣. لواء حجة مركزه حجة ويضم قبائل حجة والاهنوم ووشحة والمحابشة والسودة ومسور حجة وكحلان.

٤. لواء الحديدة مركزه الحديدة، ويضم الزرانيق في قضاء بيت الفقيه والزيدية في قضاء الزيدية وبلاد زبيد في قضاء زبيد، كما يضم بني عبس وبني مروان.

٥. لواء تعز «تعز» قبائل الحجرية والمخلاف وشرعب وصبر والمخا وشمير.

٦. لواء إب «إب» ويضم قبائل قعطبة وخبان والعدين والشعر وعمار ويريم.

٧. لواء البيضاء «البيضاء» قبائل البيضاء وحريب ومأرب ورداع ومراد وقيفة، كما يضم آل هياش وآل عمر والحميقاني والوهاشي والدباني والعلوي وآل الرصاص «السلطان حسين الرصاص».

٦. بحسب الاقتصاديات:

١. مستوطنة ثابتة في أرضها وزراعتها، وهم إما سكان جبال حيث المياه وخزنها « خولان وأرحب وبني مطر والحيمتين وذمار ويريم وآنس ومناخة والمحويت وهمدان وإب وحجة والوصابين وعتمة». أما السهول فزراعتها تعتمد على السيول المستمدة من الجبال «الآبار الارتوازية في تهامة والجوف: ذو محمد ذو حسين وأشراف الجوف».

٢. قبائل تعيش على الرعي والمراعي: قيفة، مراد، عبيدة، حريب، الجوبة، ودهم وبني نوف، وهم بدو المشرق الرحل يتبعون المراعي، وهم أفقر من غيرهم يعيشون على السلب والنهب وقطع الطرق رغم خصوبة أرض الجوف.

٣. قبائل بدأت بالتحضر وتسكن المدن وتمارس التجارة، وهي قبائل الحجرية وقعطبة «قربها للجنوب» وقبائل تهامة «ميناءي الحديدة والمخا»، كما أن هناك هجرة ريف- مدينة.

٧. بحسب حجم القبيلة وأهميتها وتقدمها نسبياً:

حاشـد وبكيـل اكـبر قبيلWتين حول صـنعاء و يسـميهما الإمـام أحمد الجناحين، ويعتمد عليهما في حكمه وولاؤهما يقرر استقرار النظام.

بعدهمـا في الحجم والأهمية قبائل مذجح وعلى الأخص البيضـاء ومراد و الحدأ والحجرية فالزرانيق فآنس فقبائل بلاد الشـام كخولان بني عامر. عـدا هذه هناك مئات القبائل الصـغيرة والمتوسـطة في اليمن على رأسـها ثلاثة آلاف شيخ، لكن كبارهم لا يزيدون على ٣٠٠.

أمـا قبائـل الجنوب كالبيضـاء والحجرية وإب فهي أكثرها وعياً بسـبب احتكاكهم بالإنكليز على حدودهم، مما أكسبهم يقظة. أما تهامة فمسالمون ومتحضرون نسبياً. وسكان الشمال والوسط مشهورون بالشجاعة والصلابة لكنها جاهلة بسبب عزلتها وسيطرة الأئمة عليها واعتمادهم عليها.

أما قبائل الشـرق والشمال الشرقي فقبائل معزولة ليس عن العالم حسب بل عن اليمن ذاته، يكاد أفرادها أن يكونوا متوحشـين ولا يؤمن جانبهم ولا يهمهم سوى المال والسلاح.

ملحق الصور



الرئيس السلال وعبدالله الكرشمي في زيارة عمل في السفارة



الرئيس السلال والعميد الجائفي والقائم بالأعمال المصري في زيارة السفارة للتهنئة بالعيد



الرئيس السلال والفريق العمري مع السيد سبينللي رئيس بعثة الامم المتحدة



أول عرض عسكري بعد قيام الثورة ١٩٦٢/٢/٢٦ ويبدو في الصف الأمامي أنور السادات وعبد الحكيم عامر والسلال وأنور القاضي والمؤلف



الرئيس السلال خارجا في السفارة



المؤلف مع السيد سبSينللي في جنيف عام ١٦٩١م



السيد عبدالله الأصنج في زيارة للسفارة



د. عدنان الباجة جي عندما كان ممثلاً للعراق لدى الأمم المتحدة،
وكان العراق حينها عضواً في مجلس الأمن



بعض مستخدمي السفارة الأول من اليسار العريف معياد حارس السفارة
والثاني من اليمين محمد المحويتي وهو حالياً مواطن سويدي



صنعاء بعد هطول الثلج - حديقة السفارة ١٩٦٣م



Guidance Printing

Sana'a +967-1-262626

مطابع التوجيه

صنعاء ٠٠٩٦٧-١-٢٦٢٦٢٦